آداب الصحبة

بين

الأخوات المسلمات

تأليف
أبو مريم مجدي بن فتحي السيد

دار الراية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية
١٤١٤هـ = ١٩٩٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الكتاب

الواجب على كل مسلمة قد رضيت بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا . وبمحمدٍ ﷺ نبيًا ورسولًا أن تقوم بتقوية العلاقة بينها وبين أخواتها فى المجتمع الإسلامى . وهذه التقوية تكون بالنظر فى حقوق أخواتها عليها ، والآداب التى تتمسك بها فى عشرتها لهن ، وتقوم بإرشادهن ، والنصح لهن .

أختى المسلمة . . .

الازدياد من الأخوات زيادة فى الآجال ، وصحبة الصالحات تورث الصلاح .

الأخوات الصالحات زينة فى الرخاء ، وعُدة فى البلاء ، وهن خير مكاسب الدنيا ، وخير معونة على صعابها ، وهمومها .

ولكن ما للمسلمة كلما اتخذت أخوات صديقات ، بعد قليل تفقدهن ، أو يَفْقِدْنَها ؟ !

وما للمسلمة لا تشعر بالخسارة عند فقد الأخوات ؟ !

وتركها لهن بسبب أمور دنيوية ، وشهوات ذاتية ؟ ! !

حقًا إن المسلمة المتلزمة بدينها ، والمتوكلة على ربها تقف وحيدة ، لا تجد لها أعوانًا من بنات جنسها على الخير ، وإن وجدتهن تفقدهن بعد حين .

والسر في ذلك هو عدم معرفتها ومعرفتهن لآداب الصحبة ، وحسن العشرة بين المسلمات بعضهن البعض .

وفي هذا الكتاب تتعلمين آداب الصحبة بين الأخوات ، وحسن العشرة .

وسوف تتعلمين في هذا الكتاب أن المسلمات كالجسد الواحد ، وأن على بعضهن أن يعين الأخريات على الخيرات ، ودفع المكروهات .

وفي هذا الكتاب تتعرفين على صفات من تقومين بصحبتها ، ومن تتركين صحبتها .

وفي هذا الكتاب تتعلمين أن المؤمنة تطلب معاذير أخواتها ، أما الفاسقة ، أو المنافقة فإنها تطلب عثرات أخواتها .

ويرشدك هذا الكتاب إلى طريقة إرضاء أخواتك المسلمات ، وكيف تكتسبين قلوبهن ، وتبدلين غلظتهن إلى لين ، وجفوتهن إلى شوق وارتياح . حقًا إن هذا الكتاب يأتي في وقت ضاعت فيه معاني الصحبة بين الأخوات ، وصارت مجالسهن إلا من رحم ربي مجالس الغيبة والنميمة ، والبحث عن عيوب الأخريات .

وفى هذا الكتاب تذكرة للمؤمنات ، وعظة للغافلات .

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ **وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾ .

لذا أحمد الله تعالى أن يسَّر لى القيام بهذا البحث الطيب فى بابه ، والقيم فى مضمونه ، والجامع – بفضل الله – فى موضوعه .

فمع حديث السماء عن الصحبة والصديقات .

ومع أحاديث الرسول ﷺ عن الأخوة والأخوات .

ومع أقوال السلف الصالحين عن حسن العشرة بين المؤمنات نحيا في هذا الكتاب .

ومع أملي فى لقاء متجدد ينفع المؤمنات فى الدنيا والآخرة أستودعكن الله . وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

أبو مريم / مجدى فتحى السيد

طنطا – مصر

الباب الأول

اقرئى فى الصفحات التالية

١ – بطاقة نبوية لحسن العشرة والصحبة .

٢ – المسلمات جسد واحد .

٣ – اختيار الأخت وأثره العظيم .

٤ – إعلام المسلمة أختها بمودتها لها .

٥ – من آداب الصحبة : حسن الخلق .

٦ – من آداب الصحبة : ستر عيوب الأخوات .

٧ – من آداب الصحبة : شدة الشوق للأخوات .

٨ – من آداب الصحبة : الوفاء بالعهد .

٩ – من آداب الصحبة : الزيارة فى الله .

١٠ – من آداب الصحبة : قضاء الحوائج .

[١] بطاقة نبوية لحسن العشرة والصحبة

أختى المسلمة . . .

وصف الله تعالى نبينًا ﷺ بحسن العشرة ، وكريم الصحبة ، فقال جل شأنه : -

﴿ ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾(١) .

وقال تقدست أسماؤه : -

﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾(٢) .

لذا فقد لزم على المؤمنة الاقتداء بنبيها ﷺ ، والتأسى بأحواله الشريفة . وتستطعين أن تتعرفى فى بطاقة صغيرة على حسن العشرة ، وآداب الصحبة التى تمثلت فى حياة رسولنا ﷺ عندما سئلت عائشة - رضى الله عنها - عن خلق النبى ﷺ فقالت :

« كان خلقه القرآن »(٣)

فمن خلال تلك البطاقة النبوية تتعرفين على آداب الصحبة وحسن

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٩ .

(٢) سورة القلم : ٤ .

(٣) حديث صحيح . أخرجه بمعناه أحمد (٦ / ٥٤ ، ٩١) ، ومسلم (٧٤٦) ، =

العشرة » ولكى يتضح المعنى لديك ، ويستقر المراد فى قلبك ، أرشدك فى الصفحات التالية لتفصيل معنى آداب الصحبة ، ولبيان المراد بحسن العشرة .

* * *

= وأبو داود (١٣٤٢) ، والنسائى (٣ / ١٩٩) ، وابن ماجه (٢٣٣٣) ، وابن خزيمة (١١٢٧) ، والدارمى (١ / ٣٤٤)وبلفظه أبو الشيخ (ص / ١٠٢) فى « أخلاق النبى) .

[٢]

المسلمات جسد واحد

أختى المسلمة . . .

يعلمنا ديننا الحنيف أن المسلمات جسدٌ واحدٌ ، وأن على بعضهن أن يعين البعض على الخيرات ، ودفع المنكرات ، وفعل الحسنات ، والنجاة من السيئات .

يقول الصحابى الجليل النعمان بن بشير - رضى الله عنه - : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

﴿ مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ﴾[1] .

فقوله : « مثل المؤمنين » هو عامٌ للرجال والنساء ، شيوخًا أو شبابًا .

وقوله : « توادهم » هو تواصلهم ، الجالب للمحبة كالتزاور ، والتهادى ، والسلام ، والمصافحة ، والمواساة فى الأحزان ، والمشاطرة فى الأفراح .

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه أحمد (٤ / ٢٧٠) ، والبخارى (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦) ، وابن حبان (١ / ٢٢٨) ، والبغوى (٣٤٥٩) فى شرح السنة ، وأبو الشيخ (٣٥٠) فى الأمثال ، والبيهقى (٣ / ٣٥٣) فى سننه الكبرى .

أما قوله : « تراحمهم » هو أن ترحم المؤمنات بعضهن بعضًا ، وأن يمددن يد العون والمساعدة بعضهن لبعضٍ ، عند الشدائد « والنوازل .

أقولها صراحة . . .

كيف تَدَّعى أخت أنها تعرف آداب الصحبة ، وهى تعلم بمرض أختها فى الله ، ولم تحدث نفسها بالإعانة المادية لها ؟ !

أم كيف تُصدق أنها تعرف حسن العشرة ، ولم تقم طوال حياتها بإهداء بعض الفقيرات شيئًا من مالها ، أو قديم ثيابها ؟ !

إن التخاذل فى حقوق الصحبة ، والأُخوة فى الله من الذنوب العظام التى تقع فيها المسلمات ليلًا ونهارًا ، سرًّا وعلانية .
فهذا أبو موسى الأشعرى – رضى الله عنه – يقول : قال رسول الله ﷺ : –

﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضًا ﴾[1]

فهذا حضٌ على معاونة المؤمنة لأختها المؤمنة ، وإرشادٌ إلى واجب المساعدة من المسلمة لأختها المسلمة .

وذلك لأن البناء لايتم ، ولا تحصل فائدته إلا بأن يكون بعضه يمسك بعضًا « ويقويه ، ويعضده .

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه أحمد (٤ / ٤٠٤ ، ٤٠٥) ، والبخارى (٦٠٢٦) ، ومسلم (٢٥٨٥) ، والترمذى (١٩٩٣) ، والنسائى (٥ / ٧٩) ، وابن حبان (١ / ٢٢٨) ، والبغوى (٣٤٦١) فى شرح السنة ، وأبو الشيخ (٥٢) فى التوبيخ بتحقيقى .

فالمرأة المسلمة لا تستقل بأمر دنياها أو دينها ، بل لأبدّ لها من معاونة أختها المؤمنة ، ومعاضدتها ، وإلا عجزت عن عمل ما تريد ، أو تحمل مسؤولياتها ، واختل نظام دنياها ، وآخرتها ، وصارت من الهالكات الخسَراتَ الدنيا والآخرة .

لذا فلتعلمى أختى المسلمة – بادىء ذى بدء – أن المسلمات جسَدٌ واحدٌ .

* * *

[٣]

اختيار الأخت وأثره العظيم

أختى المسلمة . . .

قبل أن نتعرف سويًا على الحقوق الواجبة لغيرنا علينا ، والآداب التى نسير بها فى دنيانا معه لنا أن نتوقف لأقول لك :

مَنْ التى تستحق صحبتك ؟

إن المسلمة التى تستحق صحبتك ، وصداقتك هى التى تمسكت بدينها ، وآمنت بكل جوارحها بمبادئه وأهدافه ، وأدنى ذلك هو استعدادها لقبول أمر الله تعالى ، والانقياد لرسوله ﷺ .

وهنا أحذرك من صحبة أهل الهوى ، والبدع ، والمخالفات لأمر الله سبحانه ، المتبعات لسبيل الشيطان ، السائرات فى درب الشهوات والشبهات .

وهذا النصح لك يتجلى عندما تقرئين حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أن الرسول ﷺ قال : -

« المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل[1] .

(١) حديث حسن . أخرجه أحمد (٢ / ٣٠٣) ، وأبو داود (٤٨٣٣) ، والترمذى =

فقوله : « المرء » أى : المسلم أو المسلمة لا فرق بينهما فى ذلك .

« على دين خليله » أى : المسلمة على عادة صاحبتها ، وطريقتها ، وسيرتها . « فلينظر » أى : فتتأملى ، ولتتدبرى .

« من يخالل » : من المخالة ، وهى المصادقة والإخاء ، أى : من تصحب ؟ هل تصاحب الملتزمات أم المضيعات ؟

فمن رضيت دين غيرها ، وخُلقَها سارت معها فى أمور دينها ودنياها .

أما من لم ترض دينها وخلقها ، فلتنصحها ، ولتدعوها إلى الله ، وإلا فلتفارقها ، وتصاحب غيرها .

كل ذلك لماذا ؟

لأن الصحبة مؤثرة فى إصلاح حال المسلمة أو إفساده .

لذا كان الشاعر الحكيم يقول : –

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن مقتدى[1]

ويُروى عن على بن أبى طالب – رضى الله عنه – أنه قال : –

لا تصحب أخ الجهـــل وإيـــاك وإيـــاه

= (٢٣٧٩) ، والطيالسى (٢٥٧٣) ، والبغوى (٣٤٨٦) فى شرح السنة ، وابن أبى الدنيا (٣٧) فى الإخوان ، والحاكم (٤ / ١٧١) .

(١) ورد البيت فى : جمهرة أشعار العرب (ص / ١٠٢) ، ومعجم الشعراء (ص / ٢٥) ، بهجة المجالس (١ / ٧٠٥) ، وعيون الأخبار (٣ / ٧٩) ، وحماسة البحترى (ص / ٣٢٦) ، والتمثيل والمحاضرة (ص / ٥٢) .

فكم من جاهل أردى حليمًا حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ما شاه
وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه
وللقلب من القلب دليل حين يلقاه[1]

بل كان الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – يقول : – « اعتبروا الناس بأخدانهم ، فإن الرجل يخادن من يعجبه نحوه[2] والخدن : الصديق ، والصاحب .

لذا فنصيحتى إليك هو اختيار الصديقة الصالحة ، والأخت الملتزمة فى سلوكها الدينى والدنيوى ، بل هذه هى نصيحة أصحاب الرسول ﷺ ، والتابعين .

يقول الفاروق ، عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه : –

« عليك بإخوان الصدق ، فعش فى أكنافهم ، فإنهم زين فى الرخاء ، وعدة فى البلاء »[3] .

ويقول الحسن البصرى – رحمه الله – إن لقمان قال لابنه : –

« يا بنى لا تَعُدَّ بعد تقوى الله من أن تتخذ صاحبًا صالحًا »[4] .

---

(١) كنز العمال (٢٥٥٩٢) وعزاه لابن عساكر فى تاريخه ، وفيه انقطاعٌ .
(٢) الإخوان (٣٨) لابن أبى الدنيا ، وروضة العقلاء (ص / ١٠٩) لابن حبان عن هبيرة مختصرًا .
(٣) الإخوان (٣٥) ، روضة العقلاء (٨٩) ، إتحاف السادة المتقين (٢ / ١٧١) .
(٤) الإخوان (٢٥) لابن أبى الدنيا ، وبمعناه عن عمر فى الإتحاف (٦ / ١٣٢) .

وقال رجلُ لدوادِ الطائى – رحمه الله – أوصنى ؟

قال : « اصحب أهل التقوى ، فإنهم أيسر أهل الدنيا عليك مؤونة ، وأكثرهم لك معونة »[١] .

وكان ابو عمرو العوفي – رحمه الله – يقول : –

« كان يقال : اصحب من إن صحبته زانك ، وإن خدمته صانك ، وإن أصابتك خصاصة أعانك ، وإن رأى منك حسنة عَدَّها ، وإن رأى منك سقطة سترها ، وإن قلتَ صدَّق قولك ، وإن صُلت سدَّد صولك .

ولا تأتيك منه البوائق – أى : الضرر – ولا تختلف عليك منه الطرائق ، ومن إن سألته أعطاك ، وإن سكتَّ ابتداك ، وإن نازعته بذل لك »[٢]

وسئل محمد بن واسع – رحمه الله – أى العمل فى الدنيا أفضل ؟

قال : « صحبة الأصحاب ، ومحادثة الإخوان إذا اصطحبوا على البر والتقوى ، ولا خير فى صحبة الأصحاب ، ومحادثة الإخوان إذا كانوا عبيد بطونهم ، لأنهم إذا كانوا كذلك ثبط بعضهم بعضًا عن الآخرة »[٣] .

وقد أنشد محمد بن النضر الحارثى فى ذلك : –

فإذا صاحبت فاصحب صاحبًا   ذا حياءٍ وعفافٍ وكرم

---

(٥) الإخوان (٤٣) ، وحلية الأولياء (٧ / ٣٤٦) لأبى نعيم .

(١) الإخوان (٤٤) ، عيون الأخبار (٣ / ٤) ، الإتحاف (٦ / ٢٠١) .

(٢) الإخوان (٥٠) لابن أبى الدنيا .

قوله للشيء لا إن قلت لا وإذا قلت : نعم قال نعم[1]

والآن قد آن أن نتعرف سويًّا على آداب الصحبة ، وحسن العشرة بين المسلمات ، ومن الله العون والسداد .

* * *

(١) الإخوان (٥٢) ، وحلية الأولياء (٨ / ٢٢٢) .

[٤]

إعلام المسلمة أختها بمودتها لها

من آداب الصحبة التى يرشد إليها الإسلام الحنيف ، أن المسلمة إذا أحبت غيرها ، وصاحبتها ، أن تعلمها بشدة حبها لها ، فإن ذلك أثبت فى مودتها لها ، وتقوية أواصر الصحبة والأخوة بينهما .

فعن المقدام بن معدى كرب – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : –

« إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه »[1] .

وهذا الإعلام لأن فيه ما يبقى الألفة ، ويثبت بينهما المودة والمحبة .

يروى الصحابى الجليل أنس بن مالك – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال لرجل أتاه ، فقال بعض أصحابه : إنى لأحبه فى الله .

« وهل أعلمته ؟ »

قال الرجل : لا .

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه البخارى (٥٤٢) فى الأدب المفرد ، وأحمد (٥ / ١٤٥ ، ١٧٣) . من حديث أبى ذر ، وأبو داود (٥١٢٤) ، وابن حبان (٢٥١٤) ، والحاكم (٤ / ١٧١) ، وابن أبى الدنيا (٦٥) فى الإخوان ، وأبو نعيم (٦ / ٩٩) فى الحلية ، والخطيب (٤ / ٥٩) فى تاريخه .

قال : « **فقم فأعلمه** »[1] .

فقام إليه ، فقال : يا فلان ، إنى أحبك فى الله ، قال : أحبك الذى أحببتنى فيه .

* * *

(١) **حديث صحيح** . أخرجه أبو داود (٥١٢٥) ، وأحمد (٣ / ١٤٠ ، ١٥٠) ، وابن حبان (٢٥١٣) ، والحاكم (٤ / ١٧١) وصححه وأقره الذهبى .

[٥]

من آداب الصحبة حسن الخلق

أختى المسلمة . . . .

من آداب الصحبة بين الأخوات المسلمات : حسن الخلق المتبادل بينهنّ .

والمسلمة ذات الخلق الحسن هى العارفة بآداب الصحبة ، والقائمة بحسن العشرة .

ولقد أوصى الرسول ﷺ بهذا الخلق الحسن : فقال :

« اتق الله حيثما كنت »

« وأتبع السيئة الحسنة تمحها »

« وخالق الناس بخلق حسن »[(١)]

بل يقول الصحابى الجليل أسامة بن شُريك : قلنا يا رسول الله ، ما

---

(١) **حديث حسن** . أخرجه أحمد (٥ / ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٩) ، والترمذى (٢٠٥٣) ، والدرامى ، والحاكم (١ / ٥٤) ، وأبو نعيم (٤ / ٣٧٨) فى الحلية من حديث أبى ذر .

ومن حديث معاذ أخرجه أحمد (٥ / ٢٢٨ ، ٢٣٦) ، والترمذى (٢٠٥٤) وله شواهد أخرى .

خير ما أعطى الإنسان ؟

قال : « **خلق حسن** »[1] .

(١) **حديث حسن** . أخرجه أحمد (٤ / ٢٧٨) ، والطيالسى (١٧٤٧) ، وأبو داود (٢٠١٥) وابن ماجه (٣٤٣٦) ، والحاكم (٤ / ٣٩٩) ، والطبرانى (٤٦٣) فى الكبير ، وفى الصغير (١ / ٢٠٢ - ٢٠٣) ، والخطيب (٩ / ١٩٧) فى تاريخ بغداد .

[٦]

من آداب الصحبة : ستر عيوب الأخوات

أختى المسلمة . . .

من الآداب التى يجدر بك أن تتحلى بها إن كنت صادقة فى التمسك بآداب الصحبة ، وراغبة فى حسن العشرة : ستر عيوب الأخوات .

فالمسلمة لا تشتغل بعيوب غيرها ، بل هى مشغولة بعيوبها ، فإن رأت أختها قد زلت بمعصية ، أعانتها لكى تصل إلى طاعةِ الله ، ثم سترت عليها بعد ذلك عيوبها .

فالمسلمة العالمة بآداب الصحبة تطلب المعاذير لأخواتها ، أما المنافقة فهى تطلب عثرات لهن ، وتتمنى أن تشاهدهن ، وقد سقطن فى المعاصى ، لكى تعيرهن بين الأخريات فى المجالس ، وأمام الدانى والقاصى .

والمسلمة الصادقة فى حسن العشرة بين أخواتها هى التى تطلب لهن سبعين عذرًا ، فإن لم تجد قالت : لعل لهن عذرًا لم أتعرف عليه ؟ !

أما الكاذبة فى صحبتها ، والمخادعة فى عشرتها فهى التى كلما رأت غيرها قد سقطت فى معصية جعلت سقوطها حديث المجالس ،

وتحدثت عن نفسها بما يُوحي بفضلها ، وكمال أفعالها ، واتزان عقلها مع انتقاص غيرها .

* * *

[٧]

من آداب الصحبة : شدة الشوق للأخوات

أختى المسلمة . . .

إذا صدقت المرأة فى صحبة غيرها ، اشتاقت إلى رؤيتها ، وتمنت فى كل لحظات محادثتها ، تذكر لها آمالها ، وتتسلى بمحادثتها عن همومها وأحزانها .

فهذا هو الفاروق عمر - رضى الله عنه - كان يذكر الرجل من إخوانه فى بعض الليل ، فيقول : يا طولها من ليلة ، فإذا صلى المكتوبة غدا إليه ، فإذا التقيا عانقه[1] .

نعم !إنها صحبة مباركة ، وعشرة طيبة .

إنهما يتذكران الله عند اللقاء ، ويذكرانه كثيرًا .

إنهما يحدثان عن أحزانهما وهمومهما .

إنهما يذكران رغباتهما وآمالهما .

إنه لقاء الخير ، والتقاء الأحبة ، الخالص لله تعالى .

يقول مالك بن مغول قال لى طلحة بن مُصَرِّف : -

(١) الزهد لأحمد (ص / ١٢٣) ، والإخوان (٨٣) لابن أبى الدنيا .

« للقياك أحبُّ إليَّ من العسل »[1]

ويقول الحكيم أكثم بن صيفى : —

« لقاء الأحبة مَسْلاةٌ للْهَمِّ »[2] .

وقال رجل لمحمد بن مناذر : فى أى شىءٍ وجدت لذة العيش ؟

قال : « فى محادثة الإخوان ، والرجوع إلى الكفاية »[3] .

وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول : —

« لولا ثلاث لأحببت أن أكون فى بطن الأرض لا على ظهرها : لولا إخوان لى ، يأتونى ينتقون طيب الكلام كما ينتقى طيب التمر ، أو أعفر وجهى ساجدًا لله عز وجل ، أو غدوة أو روحة فى سبيل الله عز وجل »[4]

وقال الأوزاعى رحمه الله تعالى : —

« يأتى على الناس زمان أقل شىء فى ذلك الزمان : أخ مؤنس ، أو درهم حلال ، أو عمل فى سُنَّة »[5] .

وكان وهب بن منبه رحمه الله يقول : —

---

(١) الإخوان (٨٧) .

(٢) الإخوان (٩٤) لابن أبى الدنيا .

(٣) السابق (٩١) .

(٤) أحمد فى الزهد (ص / ١٣٥) .

(٥) السابق (ص / ١٧٢) .

« ثلاث من روح الدنيا : لُقَى الإخوان ، وإفطار الصائم ، والتهجد من آخر الليل »[1] .

فإن أحببت أن تكونى حقًا من اللواتى قد عرفن الصحبة وحقوقها ، وتمسكن بحسن العشرة ، وآدابها فلتكونى مشتاقة للقاء الأخوات .

أختى المسلمة . . .

لتكن الابتسامة دائمًا تترقرق على شفتيك كلما نظر إليك أخواتك المسلمات . إن تلك البسمة لا تستغرق أكثر من لمح البصر ، لكن ذكراها فى قلوب أخواتك تدوم عند كل لقاء .

إن شوقك إلى رؤيتهن الذى يرتسم على وجهك هو فى حقيقتة أهم بكثير جدًا مما ترتدنيه من ثياب .

بل لعل من الأمور الجديرة بالتنويه أن تلك البسمة سوف تعود عليك بالحسنات فى الآخرة ، لأنها تعتبر من الصدقات التى تجعلينها فى صحيفتك .

اسمعى إلى الرسول ﷺ وهو يقول لنا جميعًا : –

« **تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة** »[2]

(١) الإخوان (٩٣) .

(٢) **حديث صحيح** . أخرجه الترمذى (٢٠٢٢) والبخارى (١٢٨) فى الأدب المفرد ، من حديث أبى ذر ، وفى الباب عن ابن مسعود ، وجابر ، وحذيفة ، وعائشة .

[٨]

من آداب الصحبة : الوفاء بالعهد

أختى المسلمة . . .

« المسلمة الصادقة » من أوفى النساء لربها ، ولأهلها ، ولزوجها ، وسائر الخلق .

وفت لأهلها ، ومن قبلهم ربها ، ومن بعدهم الناس أجمعين .

وفت لربها ، فقامت بأداء ما افترض عليها ، وابتعدت عما نهى الله عنه وتقربت إليه بكل طاعة ممكنة .

وفت لأهلها ، فتعاهدتهم بالرعاية أحياءً ، وتعاهدتهم بالدعاء أمواتًا ، وفت لزوجها ، فذكرته بالطيب والجميل حيًا ، وبالثناء العطر ميتًا .

وفت لسائر الناس بمواساتهم ، والمحافظة على عهودهم .

والوفاء الذى أقصدهُ – ههنا – هو ذلك الذى تأخذه المرأة المسلمة على نفسها ، قال الله تعالى : ﴿ **وبعهد الله أوفوا** ﴾[1]

فمن آداب الصحبة : الوفاء بالعهد .

لذا فالمؤمنة لا تعد أختها وعدًا ، ثم تخلفه ؛ لأنها تعلم أن ذلك من

---

(١) سورة الأنعام : ١٥٢ .

شُعب النفاق .

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : -

« أربع من كن فيه فهو منافق : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان ، وإذا خاصم فجر » .

وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول : -

« لا تعد أخاك موعدًا فتخلفه ، فتستبدل المودة بغضًا » .

ومن لوازم الوفاء مع أخواتك أن تجزعى ، وتحزنى عند فراقهن من غير سخطٍ على القضاء ، بل برضا وصبر جميل .

ومن لوازم الوفاء مع أخواتك أن لا تستمعى إلى وشايةٍ فى حق أحبتك .

ومع أدبٍ آخر من آداب الصحبة نكمل المسير .

[٩]

من آداب الصحبة : الزيارة فى الله

أختى المسلمة . . .

من آداب الصحبة ، وحسن العشرة : الزيارة فى الله تعالى .

و« الزيارة فى الله » من الأمور الجديرة بالاهتمام ، خصوصًا فى هذا العصر الذى لا تكاد المرأة المسلمة تجد فيه أعوانًا لها على الخير .

وإذا زارت المسلمة أختها فى الله تعالى فقد أدت أدبًا من آداب الصحبة ، وقامت بأمرٍ من محاسن العشرة ، ونالت خير ثواب الدنيا والآخرة .

يروى أبو هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : –

« إن رجلًا زار أخًا له فى قرية أخرى ، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكًا ، فلما أتى عليه قال : من تريد ؟ قال : أريد أخًا لى فى هذه القرية .

قال : هل لك من نعمة تربها عليه ؟

قال : لا ، غير أنى أحببتُه فى الله تعالى .

قال : إنى رسول الله إليك ، بأن الله قد أحبك ، كما أحببته فيه »[1] .

والمسلمة المتأدبة بآداب الصحبة إنما تزور أختها لتنال ثواب ربها ، فإن وجدت أختها مريضة كانت زيارتها عيادة لها ، وإن كانت مشغولة فى عمل كانت زيارتها إعانه لها ، وإن غير ذلك كانت مدخلة للسرور على قلبها .

وكان السلف الصالح يقولون : -

« امش ميلًا وُعد عليلًا ، وامش ميلين وأصلح بين اثنين ، وامش ثلاثة أميال وزُر فى الله »[2] .

« والزيارة فى الله » تُقرب بين الأخوات ، وتُزيل الجفوات ، وتدخل على القلوب المسرات .

ومع أدب آخر من آداب الصحبة نكمل المسير .

* * *

(١) **حديث حسن** . أخرجه ابن المبارك (٢٤٦) فى الزهد ، ومسلم (١٦ / ١٢٤) ، وأحمد (٢ / ٣٤٤) ، والترمذى (٢٠٧٦) ، وابن ماجه (١٤٤٣) ، وابن أبى الدنيا (٩٧) فى الإخوان ، والبخارى (١٢٨) فى الأدب المفرد بنحوه ، وابن حبان (٢٩٥٠) ، وابن قدامة (٣٧) فى « المتحابين فى الله » بتحقيقى .

(٢) أخرجه هناد بن السرى (٣٧٧) فى الزهد عن حسان بن عطية ، وأبو نعيم (٥ / ١٩٨) فى حلية الأولياء ، عن عطاء بن ميسرة .

[١٠]

من آداب الصحبة : قضاء الحوائج

أختى المسلمة . . .

من آداب الصحبة : المسارعة إلى قضاء حوائج الأخوات المسلمات .

إذ لا معنى لمن تدعى الصحبة لغيرها ، وتظن أنها تحسن عشرتها ، وهى لا تسارع فى قضاء حوائجها ! !

لقد كانت لذة من ضمن اللذات التى يسعى سلفنا الصالح للوصول إليها :

لذة قضاء حوائج الآخرين .

يقول التابعى الجليل محمد بن المنكدر - رحمه الله تعالى - :

« لم يبق من لذة الدنيا إلا قضاء حوائج الإخوان »(١) .

إن السلف الصالح تيقنوا من غير ريبٍ ولا شك أن أحب عباد الله إلى الله - تعالى - من يسعون فى سبيل إراحة غيرهم ، وإدخال السرور إلى قلوبهم .

---

(١) أخرجه أبو نعيم (٣ / ١٤٩) فى الحلية ، وابن الجوزى (٢ / ١٤٣) فى صفة الصفوة ، وأورده الذهبى (٥ / ٣٥٦) فى سير أعلام النبلاء .

أختى المسلمة . . .

هل كشفت كربة عن أختك المسلمة ؟

هل قضيت عن مسلمة دينًا من الديون ؟

هل مشيت مع مسلمةٍ في حاجةٍ لها ؟

كان الحسن البصرى – رحمه الله يقول : –

« لأن أقضى لأخ حـاجة أحب إلَّى من أن أعتكف شهرين »[1] .

بل إن رسولنا ﷺ يقول لنا فى هذا الشأن : –

« من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة ، والله فى عون العبد ، ما كان العبد فى عون أخيه »[2] .

وفى هذا إشارة إلى فضل قضاءحوائج المسلمات ، ونفعهن بما تيسر من علمٍ ، أو مالٍ ، أو معاونة ، أو إشارة بمصلحة ، أو نصيحة فى دنيا ودين .

وعندما تقف المسلمة ، وتنظر إلى أحوال النساء اليوم تجد أن كلمة

---

(١) قضاء الحوائج (ص / ٤٨) لابن أبى الدنيا ، وروضة العقلاء (ص / ٢٤٧) لابن حبان .

(٢) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٦٩٩) ، وأحمد (٢ / ٥٠٠) ، والترمذى (١٩٩٥) .

« أنا » هى العالية فى كل مكان ، بعكس نساء السلف الصالح .

ولقد حفظ لنا تاريخنا الإسلامى بعض النماذج الطيبة فى قضاء الحوائج .

ذكر أصحاب السير والتراجم أن الحسن البصرى رحمه الله تعالى بعث قومًا من أصحابه فى قضاء حاجةٍ لرجلٍ ، وقال : –

مروا بثابت البنانى فخذوه معكم ، فأتوا ثابتا ، فقال : أنا معتكف ، فرجعوا إلى الحسن البصرى فأخبروه فقال الحسن : –

قولوا له : أما تعلم أن مشيك فى حاجة أخيك المسلم خير من حجةٍ بعد حجة ؟ !

فرجعوا إلى ثابتٍ ، فترك اعتكافه ، وذهب معهم[1] .

سبحان الله ، تأملى أختى المسلمة فى تلك الكلمات النوارنية التى لا تصدر إلا من قلوب صافية ، عرفت حق الصحبة ، وحق الأخوة ، وحسن العشرة .

بل كان الحسن البصرى – رحمه الله – يقول :

« لأن أقضى لأخ حاجة أحب إلىَّ من أن أعتكف شهرين » .

بل كان ابن عباس رضى الله عنهما يقول : –

« لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهرًا ، أو جمعة ، أو ما شاء

---

(١) قضاء الحوائج (ص / ٤٨) لابن أبى الدنيا .

الله ، أحب إلىَّ من حَجَّة بعد حجة » .

« ولطبق بدانقٍ أهديه إلى أخٍ لى فى الله ، أحب إلىَّ من دينارٍ أنفقه فى سبيل الله »[1] .

ويروى الإمام محمد بن إسحاق صاحب المغازى والسير خيرًا طيبًا فيقول : –

كان أناس بالمدينة يعيشون ، ولا يدرون من أين يعيشون ؟ ! ومن يعطيهم ؟ !

فلما مات زين العابدين بن الحسين – رحمه الله – فقدوا ذلك ، فعرفوا أنه هو الذى كان يأتيهم بالليل بما يأتيهم به .

ولما مات وجدوا – أثناء تغسيله – فى ظهره – وأكتافه أثر حمل أكياس الطعام إلى بيوت الأرامل ، والمساكين .

تأملى أختى المسلمة فى المثال الرائع لمعنى قضاء الحوائج .

تفكرى أختى المسلمة فى المثال العظيم لمعنى العمل على إسعاد الآخرين ، إنه سليل بيت النبوة يسعى فى قضاء الحوائج لمن ؟

للمساكين ، والفقراء ، والأرامل ، واليتامى .

إنه يسعى فى قضاء حوائجهم ولوكان بتعبه البدنى ، ولو شاء أراح نفسه ، وطلب من الذين سيأخذون تلك الخيرات أن يأتوا بأنفسهم لحملها ، وأخذها ، وما فى ذلك عليه أدنى حرج .

(١) صفة الصفوة (١ / ٧٥٦) لابن الجوزى .

ولكنها الصحبة الطيبة ، والعشرة الوفية .

إنه الإخلاص لله وحده .

أختى المسلمة . . .

الصحبة الصادقة تقتضى منك أن تؤدى حوائج أخواتك المسلمات ، وَتَسْعَى في إنجازها على أكمل وجهٍ ، وأتمه .

لقد كان فى السلف الصالح من يسأل عن حال عيال أخيه فى الله بعد موته أكثر من عشر سنين ، يقوم بحاجتهم ، ويعينهم بماله ، ولا يحرمهم مشورته .

فينبغى لك التأدب بهذا الأدب الذى هو من مستلزمات آداب الصحبة ، وحسن العشرة .

وهذا التأدب يكون عندما تجعلين حاجة أختك المسلمة مثل حاجتك ، أو أهم من حاجتك .

وهذا التأدب يكون عندما لا تغفلين عن مساعدتها ، وتخفيف الأمر عليها .

وهذا التأدب يكتمل عندما لا ترين لنفسك حقًا بسبب قيامك بأداء حاجة أختك المسلمة .

اسمعى هذا الأثر الطيب

قضى ابن شبرمة حاجة كبيرة لبعض إخوانه ، فجاءه بهدية ، فقال

ابن شبرمة : ما هذا ؟ قال أخوه : لما أسديته إلَّى من المعروف .

قال ابن شبرمة : خذ مالك ، عافاك الله ، إذا سألت أخاك حاجة ، فلم يجهد نفسه فى قضائها ، فتوضأ للصلاة ، وكّبر عليه أربع تكبيرات ، وعُدَّه فى الموت .

فرحم الله امرأة سعت فى قضاء حوائج أخواتها .

ومع آداب الصحبة ، وحسن العشرة نكمل المسير .

* * *

البَابُ الثّانى

اقرئى فى الصفحات التالية :

١ – من آداب الصحبة : السخاء

٢ – من آداب الصحبة : العفو عن الأخوات

٣ – من آداب الصحبة : الإيثار والمواساة

٤ – من آداب الصحبة : الدعاء

٥ – من آداب الصحبة : الإنصاف

٦ – من آداب الصحبة : الصبر عند الجفاء

٧ – من آداب الصحبة : إطعام الطعام

٨ – من آداب الصحبة : الهدية

٩ – من آداب الصحبة : تقديم الصدقات

١٠ – من آداب الصحبة : نسيان الزلات

[١١]

من آداب الصحبة : السخاء

أختى المسلمة . . .

من السلوكيات الرائعة فى مجال الصحبة ، وحسن العشرة : السخاء على الأخوات .

والسخاء : هو أن تجودى بمالك لوجه الله تعالى طلبًا لمغفرته ورحمته ، ثم لكى يسعد معك أخواتك المسلمات المحتاجات أو الفقيرات .

ولقد حقَّت محبة الله – تعالى – لمن يتباذلون من أجله ، فهل أنت منهن ؟

يقول عبادة بن الصامت – رضى الله عنه – سمعت النبى ﷺ يقول : –

« حقت محبتى للمتباذلين فىَّ »[١] .

ولكى تتحققى من معنى أن السخاء من آداب الصحبة « وحسن العشرة » تأملى فى أقوال السلف الصالح التالية :

(١) **حديث صحيح** . أخرجه أحمد (٥ / ٢٢٩) ، وابن حبان (٢٥١٠) ، والحاكم (٤ / ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠) .

يقول ابن عمر رضى الله عنهما - : -

« رأيتنا وما أحدٌ بأحق بديناره ، ودرهمه من أخيه المسلم[1] » .

وقال سفيان بن عيينة - رحمه الله - : سمعت مساور الورَّاق - رحمه الله - يحلف بالله - عز وجل - ما كنتُ أقول لرجلٍ إنى أحبك فى الله - عز وجل - فأمنعه شيئًا من الدنيا »[2] .

وقال أبو جعفر محمد بن على رحمه الله تعالى : -

يدخل أحدكم يده فى كم صاحبه ، ويأخذ ما يريد ؟ قلنا : لا قال : فلستم بإخوان كما تزعمون »[3]

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : -

« ما أعطيت أحدًا مالًا إلا وأنا أستقله ، وإنى أستحى من الله عز وجل ، إن سألت الله - عز وجل - لأخٍ من إخوانى ، وأبخل عنه بالدنيا ، وإذا كان يوم القيامة قيل لى : لو كانت الدنيا بيدك كنت أبخل »[4] .

ويروى رباح بن الجراح العبدى أن فتح الموصلى - رحمه الله - جاء إلى صديق له ، يقال له : عيسى التمار ، فلم يجده فى المنزل ، فقال للجارية :

---

(١) حلية الأولياء (١ / ٣١٣) ، مجمع الزوائد (١٠ / ٢٨٥) .
(٢) الإخوان (١٥٨) ، حلية الأولياء (٧ / ٢٩٩) .
(٣) الحلية (٣ / ١٨٧) ، صفة الصفوة (٢ / ١١١) .
(٤) الإخوان (١٦٠) .

أخرجي إلى كيس أخي ، فأخرجته له فأخذ درهمين ، وجاء عيسى إلى منزله ، فأخبرته الجارية بمجيء فتح ، وأخذه الدرهمين ، فقال لها : —

إن كنت صادقة فأنت حرة ، فنظر فإذا هي صادقة فعتقت »[1] .

ويقول طعمة الجعفري رحمه الله تعالى : —

« كان عمران بن موسى يأتيني بالألف دينار ، والألفي دينار ، ويقول : اقسمها على إخوانك ، ولا تعلمهم أنها من قبلي .

وكان يقول : ما رأيتك إلا رأيت لك على فضلًا بقضاء حوائجي .

قال طعمة : وإنما قضاء حوائجه أن يعطيني الدنانير والدراهم أقسمها على الفقراء »[2] .

ويروي الأعمش : أن خيثمة ورث مائتي ألف فأنفقها على إخوان[3] .

وتروي سلمى مولاة لأبي جعفر محمد بن علي — رحمه الله — فتقول : —

كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى نطعمهم الطعام الطيب ، ونكسوهم الثياب الحسنة ، ونهب لهم الدراهم ، فأقول له : ما تصنع ؟

(١) الإخوان (١٦٢) ، إتحاف السادة (٦ / ٢٠٥) .
(٢) الإخوان (١٦٦) .
(٣) الحلية (٤ / ١١٣) ، صفة الصفوة (٣ / ٩٢) .

فيقول : « يا سلمى ، ما يؤمَّل فى الدنيا بعد المعارف والإخوان »[1]
ويقول الحسن بن كثير رحمه الله تعالى : —

« شكوت إلى محمد بن على الحاجة ، وجفاء إخوانى ، فقال : بئس الأخ : أخ يرعاك غنيًا ، ويقطعك فقيرًا .

ثم أمر غلامه ، فأخرج كيسًا فيه سبعمائة درهم ، فقال : استنفق هذه ، فإذا نفدت فأعلمنى »[2] .

ولقى الحسن البصرى – رحمه الله – بعض إخوانه ، فلما أراد أن يفارقه خلع عمامته ، وألبسها إياه ، وقال : إذا أتيت أهلك فبعها وأستنفق ثمنها[3] .

ويقول مطر الوراق : أتيت محمد بن واسع – رحمه الله – فلما رآنى قال برأسه بين رجليه فخمر وجهه أن انظر إليه ، فلم يرفع رأسه ، فقمتُ ، فذهبت .

فلما كان بعد أيام أتانى بكيسٍ فيه سبعمائة درهمٍ ، فدفعها إلىَّ ، وأنا فى حانوتى فى قنطرة حرة .

فقلت : تبعث إلىَّ فى حوائجك ؟

فقال : وأى حاجة لى ، أتيتنى ، فظننت بك الحاجة ، فما استطعت أن أنظر إليك .

---

(١) الإخوان (١٧٧) ، صفة الصفوة (٢ / ١١٢) .
(٢) الإخوان (١٧٩) ، صفة الصفوة (٢ / ١١٢) .
(٣) الإخوان (١٨٠) .

قال مطر : فقلت له : أنا بخير ! !

فقال : أنت كيف شئت ! الدراهم لا ترجع إليَّ[1] .

وكان مورق العجلي – رحمه الله تعالى – يأتي بالصرر فيها الأربعمائة ، والخمسمائة ، فيودعها إخوانه ، ثم يلقاهم بعد ، فيقول : انتفعوا بها ، فهي لكم[2] .

أختي المسلمة . . . .

بعد هذه الرحلة مع كلام السلف الصالح أظنك قد أصبحت على علمٍ بأن السخاء من آداب الصحبة ، وحسن العشرة .

وكما تعلمنا سويًا من كلامهم ، فهلمي معي نتعلم أيضًا سويًا من أفعالهم . يذكر لنا أصحاب السير والتراجم المواقف التالية :

يقول أبان بن عثمان : أراد رجل أن يضار عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – فأتى وجوه قريش ، فقال : يقول لكم عبد الله : تغدوا عندي اليوم ، فأتوه حتى ملأوا عليه الدار ، فقال ابن عباس :

ما هذا ؟ فأخبر الخبر ، فأمر ابن عباس بشراء فاكهة ، وأمر قومًا فطبخوا وخبزوا ، وقدمت الفاكهة إليهم ، فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فأكلوا حتى صدروا ، فقال عبد الله لوكلائه : أو موجود لنا هذا كله كل يوم ؟ قالوا : نعم .

---

(١) الإخوان (١٨٢) .

(٢) ابن سعد (٧ / ٢١٥) في طبقاته ، وابن الجوزي (٣ / ٥١) في صفة الصفوة .

قال ابن عباس : فليتغد عندنا هؤلاء فى كل يوم .

بل ويذكرون فى الأخبار : اجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس ، وهو عامل بالبصرة فقالوا : لنا جار صوام قوام ، يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله ، وقد زوج ابنته من ابن أخيه وهو فقير ، وليس عنده ما يجهزها به ؟

فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم الدار ، وفتح صندوقًا فأخرج منه ست بدر – تشبه صرر النقود – فقال : احملوا فحملوا ، ثم قال ابن عباس :
ما أنصفناه ، أعطيناه ما يشغله عن قيامه ، وصيامه ، ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها ، فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنًا ، عن عبادة ربه ، وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى ، ففعل وفعلوا .

ويذكر أن عبد الله بن عامر بن كريم – رحمه الله تعالى – خرج من المسجد ، يريد منزله وهو وحده ، فقام إليه غلام من ثقيف فمشى إلى جانبه ، فقال له عبد الله : ألك حاجة يا غلام ؟

قال الغلام : صلاحك ، وفلاحك ، رأيتك تمشى وحدك ، فقلت أقيك بنفسى ، وأعوذ بالله إن حدث بك مكروه .

فأخذ عبد الله بيده ، ومشى معه إلى منزله ، ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام ، وقال : استنفق هذه ، فنعم ما أدبك أهلك .

ويروون أن سعيد بن خالد دخل على سليمان بن عبد الملك ، وكان سعيد رجلًا جوادًا ، فإذا لم يجد شيئًا كتب لمن سأله صكًا

على نفسه حتى يخرج عطاءه ، فلما نظر سليمان تمثل بهذا البيت فقال : -

إنى سمعت مع الصباح مناديًا يا من يعين على الفتى المعوان

ثم قال : ما حاجتك ؟

قال : دينى .

قال : وكم هو ؟

قال ثلاثون ألف دينار .

قال : لك دينك ومثله .

وقيل : مرض قيس بن سعيد بن عبادة - رحمه الله - فاستبطأ إخوانه ، فقيل له : إنهم يستحيون مالك عليهم من الدين ، قال : أخزى الله مالًا يمنع الإخوان من الزيارة ، ثم أمر مناديًا فنادى : من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه برىء .

قال : فانكسرت درجة الباب بالعشى لكثرة من زاره وعاده .

وهكذا أختى المسلمة . . . لقد تمسك سلفنا الصالح بصفة السخاء ، وحق لنا أن نتمسك بها .

فهلمى تمسكي بصفة السخاء على الأخوات المسلمات حتى تنالى درجة العالمات بآداب الصحبة ، وحسن العشرة .

ومع أدبٍ آخر من آداب الصحبة نكمل المسير .

* * *

[١٢]

من آداب الصحبة : العفو عن الأخوات

أختى المسلمة . . .

ومن الآداب التى يُعتمد عليها فى الصحبة ، وحسن العشرة : هو الصفح ، والعفو عن أخطاء الأخوات ، وترك تأنيبهن عليها .

قال الله تعالى : ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾[١]

والصفح الجميل : ألا يكون فيه تقريعٌ ، ولا تأنيبُ ، ولا توبيخ ، ولا معاتبةُ .

فكان رويم بن أحمد البغدادى رحمه الله يقول : –

« الصفح الجميل : أن تعذر إخوانك فى زلاتهم »[٢] .

وكان يقال :

« تناس مساوىء الإخوان ، يدم لك ودهم »[٣] .

وليس هذا النسيان يعنى الموافقة على أخطائهن ، أو ما حدث منهن

---

(١) سورة الحجر : ٨٥ .

(٢) طبقات السلمى (ص / ١٨٣) .

(٣) بهجة المجالس (١ / ٧٢٣) لابن عبد البر .

من زلات وسقطات ، لا ، وألف لا .

إنما المراد : وهو البيان والتوضيح ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، من غير محاولة التعيير ، والسخرية ، والاستهزاء ، والتشهير .

[١٣]

من آداب الصحبة : الإيثار والمواساة

أختى المسلمة . . .

لعلَّ من أهم الآداب التى بها تختبر المسلمة نفسها ، وتعرف مقدار قيامها بآداب الصحبة أو تقصيرها : الإيثار والمواساة .

هذا الأمر العظيم الذى هو من خصائص الصحبة بين الأخوات المسلمات حثنا الله تبارك وتعالى على التحلى به ، عندما مدح الأنصار ، فقال عز وجل : –

﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾

أى : أنهم – معشر الأنصار – لما تأدبوا بأداب الصحبة ، وعرفوا كيفية حسن العشرة كانوا يقدمون المحاويج من المهاجرين ، ويبدأونهم مع احتياجهم إلى ما يقدمون .

أختى المسلمة . . .

« الإيثار » يعنى أن تقدمى حاجة أخواتك المسلمات على حاجتك ، وتفكرى فيما يحتجن إليهن قبل تفكيرك فى حاجتك أنت ! !

هل سألت نفسك – أختى المسلمة – يومًا من الأيام ، لماذا لم تؤثرى أختك المسلمة على نفسك ببعض المال الذى لديك ؟

هل راجعت نفسك أختي المسلمة يومًا من الأيام لم تركت غيرك من المسلمات ، وأنت تعلمين مدى حاجتهم إلى عطائك ؟ !

لقد ضرب لنا سلفنا الصالح أروع الأمثلة في الإيثار والمواساة ، أذكرك ببعضها ، والذكرى تنفع المؤمنات .

يقول ابن عمر - رضي الله عنهما - :

أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة ، فقال فلان أحوج إليها مني ، فبعث بها إليه ، فبعث هو - أيضًا - إلى آخر يراه أحوج منه ، فلم يزل يبعث به واحدٌ إلى واحد ، حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة .

وبعث معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - بثمانين ألف درهم إلى عائشة - رضي الله عنها - وكانت صائمة ، وعليها ثوب خلق - أي : قديم - فوزعت هذا المال من ساعتها ، على الفقراء ، والمساكين ، ولم تبق منه شيئًا ، فقالت لها خادمتها : يا أم المؤمنين ما استطعت أن تبقي لنا درهمًا أو درهمين نشتري بهما لحمًا تفطرين عليه ؟

فقالت عائشة - رضي الله عنها - لا تعنفيني ، يا بنيتي ، لو ذكرتيني لفعلت .

فتأملي أختي المسلمة كيف أنها قد نسيت نفسها . . . وهي صائمة . . . في درهمٍ واحدٍ ! !

وما ذاك إلا لأجل معرفتها لمعنى حسن العشرة ، وأدب الصحبة .

كيف نسيت نفسها لأجل تذكرها الفقراء والمساكين ؟ !

كيف نسيت نفسها لأجل تذكرها الأرامل واليتامى ؟ !

فرحم الله امرأة سارت فى طريق الإيثار .

ورحم الله امرأة أكثرت من الإيثار .

ورحم الله امرأة عاشت من أجل الإيثار .

ولعل من أعجب أخبار الإيثار التى رويت عن سلفنا الصالح الخبر التالى :

يقول العدوى رحمه الله : –

انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ، ومعى شىء من ماءٍ ، وأنا أقول : إن كان به رمق سقيته ، فإذا أنا به ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فإذا برجل يقول : آه . . .آه ، فأشار إلى ابن عمى أن اذهب إليه ، فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار أن نعم ، فسمع آخر يقول : آه . . . آه فأشار هشام بن العاص أن انطلق إليه » فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمى ، فإذا هو قد مات ، ولم يشرب أحد الماء لإيثار كل واحد منهم صاحبه .

بل يروى الإمام الطبرانى فى معجمه الكبير الخبر التالى : –

أخذ عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أربعمائة دينار ، فجعلها فى صرةٍ ، ثم قال لغلامه : اذهب بها إلى أبى عبيدة بن الجراح ، ثم

تشاغل فى بيته حتى تنظر ما يصنع بها ؟ فذهب بها الغلام إليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذا فى حاجتك .

فقال أبو عبيدة – رضى الله عنه – : وصل الله عمر ، ورحمه ، ثم قال : يا جارية تعالى « اذهبى بهذه السبعة إلى فلانٍ ، وبهذه الخمسة إلى فلانٍ » وبهذه الخمسة إلى فلان ، حتى أنفدها .

ورجع الغلام إلى عمر فأخبره ، فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل ، فذهب بها إليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين ، اجعل هذه فى بعض حاجتك .

فقال معاذ بن جبل رضى الله عنه : رحم الله عمر ، ووصله ، تعالى يا جارية اذهبى إلى بيت فلانٍ بكذا ، وإلى بيت فلانٍ بكذا ، فاطلعت امرأة معاذٍ على ما فعله معاذ ، فقالت : نحن والله مساكين ، فأعطاها ما بقى فى الخرقة ، ولم يبق فى الخرقة إلا ديناران ، فرمى بهما إليها .

فرجع الغلام إلى عمر ، فأخبره بما رأى فسر بذلك ، وقال عمر : –

« إنهم إخوة بعضهم من بعض » .

أختى المسلمة . . .

إن الإيثار ركن من أركان الصحبة ، وأساس من أسس حسن العشرة .

إن الإيثار من أسمى مراتب البذل والعطاء فى حياة الأخوات المسلمات .

وهنا أرشدك إلى أعلى مواضع الإيثار ، وهى أن تؤثرى رضا ربك على رضا من سواه ، فتفعلين ما فيه مرضاة خالقك ، حتى لو غضب منك كل الخلق .

وهذه الدرجة هي درجة الأنبياء والمرسلين .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : —

« إيثار رضا الله عز وجل على غيره ، هو أن يريده ويفعل ما فيه مرضاته ، ولو أغضب الخلق ، وهو درجة الأنبياء ، وأعلاها للرسل عليهم صلوات الله وسلامه ، وأعلاها لأولى العزم منهم ، وأعلاها لنبينا ﷺ ، فإنه قاوم العالم كله ، وتجرد للدعوة إلى الله ، واحتمل عداوة البعيد والقريب فى الله تعالى ، وآثر رضا الله على رضا الخلق من كل وجهٍ .

ولم يأخذه فى إيثار رضاه ملومة لائم ، بل كان همه ، وعزمه ، وسعيه كله مقصورًا على إيثار مرضاة الله ، وتبليغ رسالاته ، وإعلاء كلماته ، وجهاد أعدائه ، حتى ظهر دين الله على كل دين ، وقامت حجته على العالمين ، فلم ينل أحد من درجة هذا الإيثار ، ما نال صلوات الله وسلامه عليه .

ونكمل المسير مع آداب الصحبة ، وحسن العشرة .

* * *

[١٤]

من آداب الصحبة : الدعاء

أختى المسلمة . . .

من الأمور التى يجدر بك التنبه إليها حتى لا تضيعى آداب الصحبة ، أو تفرطى فى حسن العشرة .

ولقد حث النبى ﷺ على هذا الأمر الطيب فى مجال الأخوة والصحبة .

فعن أبى الدرداء – رضى الله عنه – قال : قال : رسول الله ﷺ : –

« دعاء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب ، عند رأسه ملك موكل ، ما دعا لأخيه بخير إلا قال له : آمين ، ولك مثله »[١] .

بل يروى الصحابى الجليل عمران بن الحصين – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : –

« دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يرد »[٢] .

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه مسلم (١٧ / ٥٠ نووى) ، وأحمد (٥ / ١٩٥) ، وابن ماجه (٨٩٥) .

(٢) **حديث صحيح** . رواه البزار .

وقد تقول واحدة : إن هذا الدعاء ربما كان المقصود فى حياتها فقط ! !

أقول : كان السلف الصالح يدعون لبعضهم البعض على السواء ، فى حياة إخوانهم ، وبعد مماتهم .

تأملى . . .

كان أبو الدرداء – رضى الله عنه – يقول : إنى لأدعو لسبعين من إخوانى فى سجودى ، أسميهم بأسمائهم .

نعم أختى المسلمة . . .

إن أختك المسلمة التى كانت معك فى صحبة ، ثم ماتت ، ودفنت فى قبرها ، فإن دعائك لها طوق من أطواق نجاتها ، إنه نور من الحسنات يدخل إلى قبرها .

كان محمد الأصفهانى رحمه الله تعالى يقول : –

أين مثل الأخ الصالح ؟ !

أهلك يقتسمون ميراثك ، ويتمتعون بما خلفت ، وهو منفرد بحزنك ، مهتم بما قدمت ، وما صرت إليه ، يدعو لك فى ظلمة الليل ، وأنت تحت أطباق الثرى .

وقال بعض السلف : –

الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء ، فيدخل الملك على الميت ،

ومعه طبق من نورٍ ، يقال : هذه هدية لك من عندأخيك فلان ، ومن عند قريبك فلان ، فيفرح بذلك كما يفرح الحيُّ بالهدية .

ومع آداب الصحبة ، وحسن العشرة نكمل المسير .

* * *

[١٥]

من آداب الصحبة : الإنصاف

أختى المسلمة . . .

من آداب الصحبة ، وحسن العشرة : الإنصاف من نفسك ، وهو أن ترى لأخوانك المسلمات من الحقوق مثل ما ترين لنفسك ، فإنه لا خير لك فى صحبة من لا ترى لك مثل ما ترى لنفسها ، ولا خير فى صحبتك إذا لم يكن هذا هو حالك مع أخواتك .

يقول الرسول ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[1] .

ويقول الشاعر : –

وإنى لأستحيى أخى أن أرى له   على من الحق الذى لا يرى ليا

ويقول الآخر : –

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته
على طرف الهجران إن كان يعقل

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (١٣) ، ومسلم (٤٥) ، والنسائى (٨ / ١١٥) .

يركب حد السيف من أن تضمه

إذا لم يكن عن شفرة السيف معدل[1]

وسئل علي – رضي الله عنه – عن قول الله تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ فقال : العدل : الإنصاف ، والإحسان : التفضل .

والمسلمة التي تعرف معنى الإنصاف مع أخواتها المسلمات هي من إذا خدمت أختها صانتها ، وإن مددت يدك بخير أعانتك ، وإن رأت منك حسنة أظهرتها ، وإن رأت سيئة أغفلتها .

ومن الإنصاف في الصحبة بين الأخوات المسلمات : هو أن لا تذكر المسلمة أختها في غيبتها إلا كما تحب أن تذكرك هي في غيبتك .

* * *

---

(١) عيون الأخبار (٣ / ٢٣) .

قوله (معدل) : المحيد والتجنب .

[١٦]

من آداب الصحبة : الصبر عند الجفاء

أختى المسلمة . . .

من الآداب العظيمة فى شأن الصحبة ، وحسن العشرة : الصبر عند جفاء الأخوات لك ، وتحملك للأذى الذى يبدر منهن ، أو سوء تصرفات بعضهن .

كان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول : -

« معاتبة الأخ خير من فقده ، ومن لك بأخيك كله ! ![١] »

نعم أختى المسلمة إن أساءت إليك أختك المسلمة فاذهبى إليها ، وعاتبيها فيما بينك وبينها ، فإن أطاعتك فقد تمت صداقة أختك المسلمة ، وإن هى لم تطعك ، فقد أديت ما عليك .

وقال أحد الشعراء : -

إذا كنت تغضب من غير ذنبٍ   وتعتب من غير جرم عليّا
طلبت رضاك فإن عزنى   عددتك ميتًا وإن كنت حيًا
قنعت وإن كنت ذا حاجة   فأصبحت من أكثر الناس شيًا
فلا تعجبن بما فى يديك   فأكثر منه الذى فى يديا

* * *

(١) عيون الأخبار (٣ / ٣٤) .

[١٧]

من آداب الصحبة : إطعام الطعام

أختى المسلمة . . .

من آداب الصحبة التى لا يستغنى عنها بحال من الأحوال ، بل هى الدليل على حسن العشرة ، والقيام بآداب الصحبة : إطعام الطعام .

ولقد اتصف سلفنا الصالح بهذه الصفة النبيلة فى صحبتهم بعض لبعض ، عرفانا منهم بالفضل والثواب المنتظر من فاعليها .

قال الحق تبارك وتعالى :

﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورًا إنا نخاف من ربنا يومًا عبوسًا قمطريرًا فوقهم الله شر ذلك اليوم ولقهم نضرة وسرورًا ﴾(١) .

قوله تعالى : **﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾** قال ابن عباس ، ومجاهد : –

على قلته ، وحبهم إياه ، وشهوتهم له .

وقوله تعالى : **﴿ إنما نطعمكم لوجه الله ﴾** قال ابن عباس رضى الله عنهما : –

---

(١) سورة الانسان : ٨ – ١١ .

« كذلك كانت نياتهم فى الدنيا حين أطعموا » .

وكان مجاهد بن جبر يقول : أما إنهم ما تكلموا به ، ولكن علمه الله جل ثناؤه منهم ، فأثنى به عليهم ، ليرغب فى ذلك راغب .

أما قوله تعالى : ﴿ إنا نخاف من ربنا يومًا عبوسًا قمطريرا ﴾

عبوسًا :

من صفة اليوم ، أى : يومًا تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته ، فالمعنى : نخاف يومًا ذا عبوس .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما : - العبوس : الضيق ، والقمطرير : الطويل .

أختى المسلمة . . .

« إطعام الطعام » هو نوع من الآداب التى يجب توافرها عندما تتعاملين مع أختك المسلمة ، وفيه فضل كبير .

كان الإمام على بن أبى طالب - رضى الله عنه - يقول : -

« لأن أجمع إخوانى على صاع من طعام أحب إلى من أن أعتق رقبة »[1] .

بل كان بعض السلف الصالح يتعمد إعداد الطعام لإخوانه فى الله - تعالى - لينال هذه الفضيلة العظيمة .

---

(١) أخرجه البخارى (١٤٨) فى الأدب المفرد ، وهنا بن السرى (٦٤٢) فى الزهد ، وابن أبى الدنيا (١٩٩) فى الإخوان .

كان خيثمة – رحمه الله تعالى – يصنع الطعام لأصحابه ، ثم يقوم عليهم ، ثم يقول : هكذا فاصنعوا بالقراء ، ما عملته إلا لكم[1] .

أختي المسلمة . . . .

إن هذا الفعل إنما يدل على صدق الصحبة ، وحسن العشرة ، وقوة الأخوة ، وليس الأمر في مجرد طعام يؤكل .

وكان الحسن البصري – رحمه الله تعالى – إذا دخل عليه إخوانه أتاهم بما عنده ، ويقول لبعضهم : أخرج السلة من تحت السرير ، فيخرجها فإذا فيها رطب ، فيقول : إنما ادخرته لكم[2] .

ويقول أبو خلدة : دخلنا على ابن سيرين ، أنا وابن عون ، فرحب بنا ، وقال : ما أدري كيف أتحفكم ؟ كل رجل منكم في بيته خبز ولحم ، ولكن سأطعمكم شيئًا لا أراه في بيوتكم ، فجاء بشهدة – العسل المعروف بكوز العسل – وكان يقطع بالسكين ويطعمنا[3] .

ويقول ابن أبي زياد : –

ما دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى قط ، إلا حدثني بحديث حسن ، وأطعمني طعامًا طيبًا[4] .

---

(١) ابن أبي شيبة (١٣ / ١٩٧) ، الزهد لأحمد (٥٩) ، ولهناد (٦٤٠) ، وغيرهم .

(٢) الإخوان (٢٠٥) لابن أبي الدنيا .

(٣) الإخوان (٢٠٦) ، والحلية (٢ / ٢٦٩) .

(٤) الإخوان (٢٠٧) .

وكان سعيد بن العاص - رحمه الله تعالى - يدعو جيرانه ، وجلساءه فى كل جمعة ، فيصنع لهم الطعام ، ويكسوهم الثياب ، فإذا أرادوا أن يتفرقوا أمر لهم بالجوائز ، وبعث إليهم[1] .

بل ودخل رجل على الحسن فوجده نائمًا على سريره ، ووجد عند رأسه سلة فيها فاكهة ، ففتحها فجعل يأكل منها ، فانتبه ، فرأى الرجل يأكل ، فقال الحسن : هذا - والله - فعل الأخيار[2] .

ورحم الله أبا سليمان الدارانى الذى كان يقول :

« لو أن الدنيا كلها لى فى لقمة ، ثم جاءنى أخ لأحببت أن أضعها فى فيه »[3] .

أختى المسلمة . . .

كان يقال : إذا جمع الطعام أربعًا ، فقد كمل كل شيء من شأنه ،إذا كان أوله حلالًا ، وذكر اسم الله - عز وجل - عليه حين يوضع ، وكثرت عليه الأيدى ، وحمد الله - عز وجل - حين يفرغ .

ومما يلزم عندما تقدمين الطعام لأخواتك المسلمات ثلاثة أشياء :

أولها : لا تتكلفى لأختك ما لا تطيقين ، ولا تجاوزى السنة فى ذلك .

الثانى : لا تطعميها إلا من حلالٍ .

(١) السابق (٢١٢) ، وتهذيب الكمال (١ / ٤٩٤) للمزى .
(٢) الإخوان (٢١٤) .
(٣) السابق (٢١٧) .

الثالث : احفظى عليها وقت الصلاة .

فإن قمت بما سبق فقد أديت أدبًا من آداب الصحبة ، وحسن العشرة . وأخيرًا أختم حديثى عن هذا الأدب من الآداب التى ينبغى للمسلمة أن تلتزم بها مع أختها ، بكلمات ابن حبان - رحمه الله - يقول : -

إنى لأستحب للعاقل المداومة على إطعام الطعام ، والمواظبة عليه ؛ لأن إطعام الطعام من أشرف أركان الندى ، ومن أعظم مراتب ذوى الحجى ، ومن أحسن خصال أولى النهى ، ومن عرف بإطعام الطعام شرف عند الغائب والحاضر ، وقصده الراضى والعاتب ، وقرى الضيف يرفع المرء ، وإن رق نسبه إلى منتهى بغيته ونهاية محبته ويشرفه برفيع الذكر ، وكمال الذخر .

والعرب لم تكن تعد إلا إطعام الطعام ، ولا تعد السخى من لم يكن فيه ذلك ؛ حتى إن أحدهم ربما سار فى طلب الضيف الميل والميلين .

وكان من ساد فى الجاهلية والإسلام حتى عرف بالسؤدد وانقاد له قومه ، ورحل إليه القريب والقاصى ، لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام .

فهلمى أختى المسلمة تمسكى بهذه الصفة النبيلة مع أخواتك المسلمات ونكمل المسير مع آداب الصحبة ، وحسن العشرة .

* * *

[١٨]

من آداب الصحبة : الهدية

أختى المسلمة . . .

من آداب الصحبة ، وحسن العشرة التى يجدر بالمسلمة أن تتواجد فى سلوكياتها : تقديم الهدية لأختها المسلمة .

والهدية تورث المحبة بين الأخوات المسلمات ، وتذهب الحقد والحسد من قلوبهن .

لذا كان من وصايا الرسول ﷺ « تهادوا تحابوا »[1] .

فبالهدية تزداد الأخوات المسلمات محبة لبعضهن البعض ، فالهدية تولف بين قلوبهن ، وتنفى السخائم من صدورهن ، وتبعد الحقد والشحناء من نفوسهن .

وفى هذا الحديث حث على دوام المهاداة لتزايد المحبة بين المؤمنات بها « يقول أحد الصالحين : —

ابن آدم مقسوم عن ثلاثة أشياء : قلب بما فيه من الإيمان ، روح بما فيها من طاعة الرحمن ، ونفس بما فيها من شهوة العصيان ، فالإيمان

(١) حديث حسن . مالك (٩٠٨) فى الموطأ ، وبمعناه أحمد (٢ / ٤٠٥) ، والترمذى (٢١٣٠) ، والبيهقى (٦ / ١٦٩) فى سننه الكبرى .

يدعو إلى الله ، والروح إلى طاعة ، والنفس إلى البر والنوال ، فالقلوب تتألف بالإيمان ، والروح بالطاعات ، وحظ النفس باق ، فإذا تهادوا تمت الألفة ، ولم يبق ثم حزازة .

والواجب على المرأة المسلمة إذا أهديت إليها هدية أن تقبلها ، ولا تردها ، ثم تثيب عليها إذا قدرت ، وتشكر عليها .

فلقد كان الرسول ﷺ يقول : « **أجيبوا الداعي ، ولا تردوا الهدية** »[1]

قوله : « أجيبوا الداعي » أي : الذى يدعوكم إلى ولائم الطعام .

وقوله : « لا تردوا الهدية » فإنها وصلة إلى التحابب .

أختى المسلمة . . .

الهدية شيء صغير قليل لكن الأثر الناتج عنها أعظم مما تتصورين ، اسمعي إلى الأثر الطيب :

يقول الهيثم بن عدى رحمه الله تعالى : –

« كان يقال : ما ارتضى الغضبان ، ولا استعطف السلطان ، ولا سلبت الشحناء ، ولا دفعت المغارم ، ولا توق المحذور ، ولا استعمل المهجور ، بمثل الهدية »[2] .

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه أحمد (١ / ٤٠٤) ، والبخارى (١٥٧) فى الأدب المفرد ، وأبو نعيم (٧ / ١٢٨) فى الحلية ، وابن عبد البر (١ / ٢٧٣) فى التمهيد .
(٢) بهجة المجالس (١ / ٢٨٠) .

ويقول الشاعر : -

هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع الضمير هوى وودا ويكسوهم إذا حضروا جمالا[1]

وقال الكريزى رحمه الله : -

إن الهدية حلو كالسحر تجتلب القلوبا
تدنى البغيض من الهوى حتى تصيره قريبا
وتعيد مضطغن العداوة بعد نفرته حبيبا
تنفى السخيمة من ذوى الـ ـشحناء وتمتحق الذنوبا[2]

المضطغن : هو الحاقد .

وأقل الهدية أن ترسلى إلى أختك البعيدة عنك السلام .

قال رجل لأبى الدرداء - رضى الله عنه - إن فلانًا يقرئك السلام ، فقال : « هدية حسنة ، ومحمل خفيف[3] » .

ونكمل المسير مع آداب الصحبة بين الأخوات المسلمات ، وبالله التوفيق .

* * *

(1) معجم الأدباء (١٠ / ١٤٧) ، بهجة المجالس (١ / ٢٨٢) .
(2) عيون الأخبار (٣ / ٤٢) ، روضة العقلاء (ص / ٢٤٣) .
(3) عيون الأخبار (٣ / ٤٨) .

[١٩]

من آداب الصحبة : تقديم الصدقات

أختي المسلمة . . .

من لوازم الصحبة وآدابها : تقديم الصدقات إلى المحتاجات من الأخوات . والأخت التي تعطف على أختها المسلمة ، وتقدم لها يد العون بالمساعدة قد عرفت معنى الصحبة ، وأحسنت في فهم معنى العشرة .

وقديمًا كان السلف الصالح يقولون : ما استحق أن يولد من عاش لنفسه .

فالمسلمة لا تحيا إلا مع أقارب ، وأصدقاء ، ومعارف ، وجيران .

وحتمًا هناك الغنية والفقيرة ، والقوية والضعيفة ، والمستغنية والمحتاجة .

والمسلمة التي تريد القيام بآداب الصحبة ، وحسن العشرة عليها أن تيسر لديها بعض المال ، أو الثياب ، أو الطعام أن تقوم بتقديمه للمحتاجات .

فعندما تبذلين الصدقة إلى كل أخت محتاجة ، فقد استطعت الوصول إلى هدفك المنشود ، وأملك المرجو .

والصدقة لا حد لقدرها ، صغيرة أو كبيرة ، فإن المراد منها هو الإعانة للمحتاجات ، والخروج من آفة الشح والبخل التى تتعارض مع معنى الصحبة ، وحسن العشرة .

فهذا رسول الله ﷺ يقول : –

« إن امرأة بغيًا[1] رأت كلبًا فى يوم حارٍ يطيف ببئر[2] ، وقد أدلع لسانه[3] من العطش ، فنزعت له بموقها[4] ، فغفر لها »[5] .

فتأملى – أختى المسلمة – كيف أن صدقة قليلة ، جعلت رحمة الله ومغفرته من نصيب تلك المرأة مع عصيانها ؟ ! !

بل إن الرسول ﷺ يبسط لنا الأمر ، فيقول ﷺ : –

« ليق أحدكم وجهه من النار ، ولو بشق تمرة[6] » أى : بنصف تمرة ! !

بل إن الكلمة الطيبة التى تخرج من فم المسلمة تكتب لها عند الله تعالى فى عداد الصدقات التى تصدقت بها ، كما قال عليه الصلاة السلام : –

---

(١) البغى : هى الزانية ، والبغاء هو الزنا .
(٢) يطيف ببئر : أى يدور حوله .
(٣) أدلع لسانه : أخرجها لشدة العطش .
(٤) الموق : الخف ، أى الحذاء .
(٥) **حديث صحيح** . أخرجه مسلم (١٤ / ٢٤٢ نووى) .
(٦) **حديث صحيح** . أخرجه أحمد (١ / ٣٨٨ ، ٤٤٦) ، وأبو نعيم (٨ / ٢١٤) فى الحلية .

« اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجد فبكلمة طيبة »[1] .

ولقد كان سلفنا الصالح يسعون فى تقديم الصدقات ، وبذل العون للمحتاجين ، والإعطاء للمساكين .

اسمعى إلى هذا الحديث النبوى ، وتأملى فى معانيه :

لقد جلس النبى ﷺ يومًا فى أصحابه ، وقال لهم :

« من أصبح منكم اليوم صائمًا ؟ »

قال أبو بكر رضى الله عنه : أنا .

فقال عليه الصلاة والسلام : **« فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ »**

قال أبو بكر رضى الله عنه : أنا .

فقال عليه الصلاة والسلام : **« فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا ؟ »**

قال أبو بكر رضى الله عنه : أنا .

قال عليه الصلاة والسلام : **« فمن عاد منكم اليوم مريضًا ؟ »**

قال أبو بكر رضى الله عنه : أنا .

فقال رسول الله ﷺ : **« ما اجتمعن فى امرىء إلا دخل الجنة »**[2] .

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه البخارى (٦٠٢٣) ، ومسلم (٧ / ١٠١) ، وأحمد (٤ / ٢٥٦) .

(٢) **حديث صحيح** . أخرجه مسلم (١٥ / ١٥٦ نووى) .

ومن أروع الأمثلة التى تركها لنا السلف الصالح موقف الصوامة القوامة : زينب بنت جحش رضى الله عنها .

كانت لربها خاشعة ، وبرزقه راضية ، أواهة داعية ، ومن ذنوبها باكية . تصفها أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – فتقول : –

كانت زينب بنت جحش زوج النبى ﷺ تساوينى من بين أزواج النبى ﷺ فى المنزلة عند رسول الله ﷺ ، ولم أر امرأة قط خيرًا فى الدين ، وأتقى لله عز وجل ، وأصدق حديثًا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد بذلًا لنفسها فى كل شيءٍ يتقرب به إلى الله تعالى من زينب .

ولكن ما هو الموقف الذى أحببت أن أنقله لك ؟

اسمعى أختى المسلمة إلى الخبر التالى ، وتفكرى فيه بتدبر :

تقول برزة بنت رافع رحمها الله تعالى : –

لما جاء العطاءُ بعث عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – إلى زينب بنت جحش بالذى لها ، فلما دخل عليها ، قالت : غفر الله لعمر ، لغيرى من أخواتى كان أقوى على قسم هذا منى ! !

قالوا : هذا كله لك .

قالت : سبحان الله ، واستترت دونه بثوبٍ ، وقالت : صبّوه ، واطرحوا عليه ثوبًا . فصبوه ، وطرحوا عليه ثوبًا ، فقالت لى : أدخلى يدك ، فاقبضى منه قبضة ، فاذهبى إلى آل فلانٍ ، وآل فلان من أيتامها،

وذوى رحمها ، فقسمته حتى بقيت منه بقية .

فقالت لها برزة : غفر الله لك ، والله لقد كان لنا فى هذا حظ ! !

قالت زينب : فكم ما تحت الثوب .

قالت برزة : فرفعت الثوب فوجدت خمسة وثمانين درهمًا ، ثم رفعت زينب يديها ، وقالت : اللهم لا يدركنى عطاءٌ لعمر بعد عامى هذا .

فتأملى أختى المسلمة فى بذلها ، وعطائها ، وعفتها ، إن كل ذلك من آثار عبادتها لربها ، وفعل الخيرات ، وتقديم الصدقات .

فهلمى أختى المسلمة بتقديم الصدقات إلى الأخوات المسلمات لتصلى إلى آداب الصحبة ، وحسن العشرة .

* * *

[٢٠]

من آداب الصحبة : نسيان الزلات

أختى المسلمة . . .

ليس منا من هو معصوم ، بل إننا جميعًا نقع فى الخطايا والذنوب ، ليلًا ونهارًا ، سرًا وعلانية .

ومن آداب الصحبة بين الأخوات المسلمات أن تعفو المسلمة عن أختها إذا رأت منها بعض الإساءات ، والتجاوزات ، وتأخذ بيديها إلى الحسنات والطاعات .

كان محمد بن كعب القرظى رحمه الله تعالى يقول :

لا تعير أخاك : واحذر شيطانك .
وإذا رأيت الأخ من إخوانكم قد استحوذ عليه الشيطان ، فإن استحوذ عليه الشيطان ، فإن أستطعتم أن لا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه فافعلوا ، وسلوا ربكم العفو والعافية ، ولا تعيروه ، وادعوه ، وآنسوه ، وجالسوه .

وإذا رأيت الأخ من إخوانكم يعمل بشىء من طاعة الله عز وجل ، فإن استطعتم أن تكونوا خيرًا منه فافعلوا ، فقد أمرتم أن تسابقوا بالخيرات .

الباب الثالث

اقرئى فى الصفحات التالية :

١ – من آداب الصحبة : ترك التكلف .

٢ – من آداب الصحبة : كسوة المحتاجات .

٣ – من آداب الصحبة : قبول الاعتذار .

٤ – من آداب الصحبة : النصيحة .

٥ – من آداب الصحبة : عيادة المريضات .

٦ – من آداب الصحبة : التوديع .

٧ – من آداب الصحبة : اللقاء بوجه طلق .

٨ – من آداب الصحبة : التهنئة .

٩ – من آداب الصحبة مع الجوارح .

١٠ – من آداب الصحبة : لا تصاحبى هؤلاء .

[٢١]

ومن آداب الصحبة : ترك التكلف

أختى المسلمة . . .

من آداب الصحبة ، وحسن العشرة التى تخفى على الكثيرات ، فيخسرن من أجلها العديد من الأخوات : ترك التكلف .

يحسن بالمسلمة ، ويجدر بها أن لا تدفع أختها المسلمة إلى التكلف لها . فشر الأخوات من تكلف لها .

فالمسلمة العالمة بآداب الصحبة تتعامل مع أختها ببساطة ، تطلقها على سجيتها ، وترتاح نفسها إليها .

وإلا فحبل الود والصحبة سينقطع عند تكلف كل أختٍ مسلمة إلى غيرها .

ولعَّل الخبر التالى يوضح تلك الحقيقة التى غابت عن أذهان الكثيرات .

يقول ابن على الرباطى : صحبت عبد الله الرازى ، وكان فى سفرٍ ، فقال لما عزم على صحبته : على أن تكون أنت الأمير أو أنا ؟

فقال ابن على : بل أنت .

قال عبد الله الرازى : وعليك الطاعة ؟ فقلت : نعم .

قلت أنا الأمير ، فعليك الطاعة لى ، فأخذنا المطَر ليلة ، فوقف على رأسى إلى الصباح ، وعليه كساء وأنا جالسٌ يمنُع عنى المطر ، فكنت أقول فى نفسى : ليتنى متُّ ، ولم أقل أنت الأمير .

ولذلك كان السلف الصالح يكرهون من يتكلف فى معاملته ، حتى لو كان ذلك رغبة فى مسراتهم .

قال جعفر بن محمد رحمه الله تعالى : —
أثقُل إخوانى علىَّ من يتكلف لى ، وأتحفظ منه ، وأخفهم على قلبى من أكون معه كما أكون وحدى .

وقال علىٌّ — رضى الله عنه — : شر الأصدقاء من تكلف لك ، ومن أحوجك إلى مداراةٍ ، وألجأك إلى اعتذارٍ .

وقال بعض السلف : من سقطت كلفته دامت ألفته .

وكان الفضيل بن عياض — رحمه الله تعالى — يقول : —

إنما تقاطع الناس بالتكلف ، يزور أحدهم أخاه فيتكلف له ، فيقطعه ذلك عنه .

فهلمى أختى المسلمة ، اتركى التكلف فى حياتك ، فى كلامك ، وفى أفعالك لكى تكونى محبوبة من الجميع .

ونكمل المسير مع آداب الصحبة ، وحسن العشرة .

[٢٢]

من آداب الصحبة : كسوة المحتاجات

أختى المسلمة . . .

من لوازم الصحبة الصادقة ، وحسن العشرة أن تشعرى بحاجة أخواتك المسلمات من مالٍ أو كسوةٍ أو طعام .

تأملى معى فى حال سلفنا الصالح تعرفى مقدار تمسكهم بهذا الأدب الطيب .

رؤى عَلَى على بن أبى طالب ثوبٌ كأنه كان يكثر لبسه ، فقيل له فيه ، فقال : هذا كسانيه خليلى وصفيٌّ عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، إن عمر نَاصَحَ الله فنصحه الله[١] .

ويروى أبو عمر الثُّمالى أن الأشعث بن قيس قدم من مكة ، فلما صلى الفجر أمرهم ، فأخذوا بأبواب المسجد ، فأمر لكل من فى المسجد بحُلَّة ، ونعلين[٢] .

ويقول العلاء بن المسيب : كان خيثمة يجعل صُرَرًا ، فيجلس فى المسجد ، فإذا رأى رجلًا من أصحابه فى ثيابٍ رثةٍ ، اعترض ،

---

(١) الإخوان (٢٢١) لابن أبى الدنيا .

(٢) السابق (٢٢٢) ، وتهذيب الكمال (١ / ١١٧) للمزى .

فأعطاه صرة[1] .

(1) الإخوان (٢٢٤) ، الحلية (٤ / ١١٤) ، صفة الصفوة (٣ / ٩٣) لابن الجوزى .

[٢٣]

من آداب الصحبة : قبول الاعتذار

أختى المسلمة . . .

من آداب الصحبة ، وحسن العشرة : قبول اعتذار من اعتذرت إليك من أخطائها ، وأعلنت توبتها من ذنبها الذى كان فى حقك .

والواجب على الأخت المسلمة قبول اعتذار أختها عن جُرمٍ مضى ، أو لتقصير سبق إذا بدت علامات التوبة النصوح ، والعودة الصادقة .

كان عبد الله بن خبيق - رحمه الله تعالى - يقول : اقبل ممن اعتذر إليك ، واحتمل من ذلَّ عليك[١] .

وقال أبو قلابة - رحمه الله -:إذا بلغك عن أخيك شيءٌ تكرهه فالتمس له عذرًا ، فإن لم تجد له عذرًا فقل : لعل له عذرًا لا أعلمه[٢] .

وكان الحسن بن على - رحمه الله - يقول : لو أن رجلًا شتمنى فى أذنى هذه ، واعتذر إلىَّ فى أذنى هذه ، لقبلت عذره[٣] .

---

(١) روضة العقلاء (ص / ١٨٤) .

(٢) السابق .

(٣) بهجة المجالس (٤٨٧٨) .

وقال الأحنف : رحمه الله : إذا اعتذر إليك معتذر ، فلتلقه بالبشر[1] .

وقال أحد الشعراء : –

أقبل معاذير من يأتيك معتذرا إن بَرَّ عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من أرضاك ظاهره وقد أجلك من يعصيك مستترا[2]

وقال الآخر : –

قيل لى : قد أسا إليك فلان وقعود الفتى على الضيم عارُ
قلت : قد جاءنا فأحدث عذرًا ديةُ الذنب عندنا الاعتذار

وقال محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى يقول :

إذا اعتذر الصديق إليك يومًا من التقصير عذر أخ مُقرِّ
فصُنْه عن جفائك واعف عنه فإن الصفح شيمةُ كل حُرٍّ[3]

ومع آداب الصحبة ، وحسن العشرة نكمل المسير .

* * *

(١) السابق .

(٢) ديوان البحترى (١ / ٥٨) ، بهجة المجالس (١ / ٤٨٧) ، العقد الفريد (١ / ٢٣٥) .

(٣) روضة العقلاء (ص / ١٨٣) .

[٢٤]

من آداب الصحبة : النصيحة

أختى المسلمة . . .

من آداب الصحبة ، وحسن العشرة : النصيحة للأخوات المسلمات ، فالمسلمة مرآة أختها ، عندما ترى فيها عيبًا ، تعمل على إصلاحه ، وتخليصها منه .

لذا كان من وصايا الرسول ﷺ إلى أصحابه الأخذ بهذه الفضيلة الجليلة .

يقول الصحابى الجليل جرير بن عبد الله رضى الله عنه : أتيت رسول الله ﷺ ، فبايعنى ، وقال :

« تعبد الله ولا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتناصح المسلمين ، وتفارق المشركين[١] » .

وكان جرير يقول : « بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة ، وإتياء الزكاة ، والنصح لكل مسلم[٢] » .

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه النسائى (٧ / ١٤٨) وأبو الشيخ (١) فى التوبيخ بتحقيقى ، والطبرانى (٢٣١٨)فى الكبير .

(٢) **حديث صحيح** . أخرجه البخارى (١ / ٢٢) ، ومسلم (٢ / ٢٧) ، وأبو =

فهل قام جرير بحق هذه البيعة ؟

تأملي في الموقف التالي ، تعرفي الإجابة .

روى الإمام الطبراني بسنده أن جرير بن عبد الله – رضي الله عنه – أمر مولاه أن يشترى له فرسًا ، فاشترى له فرسًا بثلثمائة درهم ، وجاء بالفارس وصاحبه ، لكي ينقده جرير الثمن ، فقال جرير لصاحب الفرس : فرسك خيّر من ثلثمائة درهم ، أتبيعه بأربعمائة درهم ؟ قال البائع : ذلك إليك يا أبا عبد الله ! !

فقال جرير : فرسك خير من ذلك ، أتبيعه بخمسمائة درهم ؟ ثم لم يزل يزيد مائة فمائة ، وصاحبه يرضى وجرير يقول : فرسك خير من ذلك إلى أن أشتراه بثمانمائة درهم ! !

فقيل له في ذلك ، فقال : إنى بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم .

أختى المسلمة . . .

علمنا الرسول ﷺ أن « الدين النصيحة »[1] .

و« النصحية » كلمة جامعة ، يعبر بها عن جملة ؛ هى إرادة الخير .

= داود (٤٩٤٥) ، والترمذى (١٩٩٠) ، والنسائى (٧ / ٤٠) ، وأحمد (٤ / ٣٥٧ ، ٣٦٠) .

(١) **حديث صحيح** . أخرجه مسلم (٢ / ٣٧) ، وأبو داود (٤٩٤٤) ، والترمذى (١٩٩٠) ، والنسائى (٧ / ١٥٧) ، وأحمد (١ / ٣٥١) ، (٢ / ٢٩٧) .

وأصل النصح فى اللغة : الخلوص يقال : نصحتُ العسل : إذا خلصته من الشمع ، والنصيحة من الأخت المسلمة إلى أختها هو إرشادها إلى مصالحها من تعليمها ما تجهل من أمر دينها ، وأمرها ونهيها عن المنكر ، وترك غشها ، وحسدها ، وتوقيرها إن كانت كبيرة ، ورحمتها إن كانت صغيرة .

والمؤمنات بعضهن لبعض ناصحات متوادات ، وإن بعدت منازلهن ، وأبدانهن .

أما الفاسقات فبعضهن لبعضٍ غشاشات متخاونات ، وإن اقتربت منازلهن وأبدانهن .

وقال معمر رحمه الله تعالى : كان يقال : أنصحُ الناس لك من خاف الله فيك[1] .

وقال أبو عبد الله الرازى : قال لى سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى : –

« عليك بالنصح لله فى خلقه فلن تلقاه بعملٍ أفضل منه[2] » .

وكان علىّ رضى الله عنه يقول : « لا تعمل بالخديعة ، فإنها خلق اللئام ، وأمْحِضْ أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة ، وزل معه حيث زال[3] » .

---

(١) الزهد (١٣٧٩) لابن المبارك ، والتوبيخ (١٦) .
(٢) الحلية (٧ / ٢٩٤) ، والتوبيخ (١٧) .
(٣) روضة العقلاء (ص / ١٩٤).

وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى : —

« المؤمن شعبة من المؤمن ، وهو مرآة أخيه ، إن رأى منه ما لا يعجبه سدده ، وقومه ، ونصحه السر والعلانية[1] » .

قال سفيان : قلت لمسعر : تحب أن يخبرك رجل بعيوبك ؟ قال : أما أن يجيء إنسان فيوبخنى بها فلا ، وأما أن يجيء ناصح فنعم[2] .

وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى :

« كان الرجل إذا رأى من أخيه ما يكره أمره فى سترٍ ، ونهاه فى سترٍ ، فيؤجر فى ستره ، ويؤجر فى نهيه ، فأما اليوم فإذا رأى أحدٌ من أحدٍ ما يكره استغضب أخاه ، وهتك ستره[3] .

قال ابن حبان : النصيحة إذا كانت على نعت ما وصفنا تقيم الألفة ، وتؤدى حق الأخوة .

وعلامة الناصح إذا أراد زينة المنصوح له أن ينصحه سرًا ، وعلامة من أراد شينه أن ينصحه علانية ، فليحذر العاقل نصحه الأعداء فى السر والعلانية .

ولقد أنشدنى ابن زنجى البغدادى :—

فكم من عدوٍ مُعلنٍ لك نصحه علانيه والغش تحت الأضالع

(١) المصدر السابق .

(٢) روضة العقلاء (ص / ١٩٦) .

(٣) المصدر السابق (ص / ١٩٧) .

وكم من صديق مرشد قد عصيته فكنت له فى الرشد غير مطاوع
وما الأمر إلا بالعواقب إنها سيبدو عليها كل سر وذائع[1]

أختى المسلمة . . .

خير الأخوات المسلمات أشدهن مبالغة فى النصيحة ، كما أن أفضلهن أخلصهن لله فى نصيحتها .

ويجدر بالمسلمة أن تضع نصيحتها فى موضعها الصحيح حتى تكون ناجعة ، ومفيدة .

ولقد كان من السلف الصالح من تبلغ به النصيحة إلى حد الإضرار بدنياه .

وقد تكون النصيحة فى زواجٍ ، أو سفرٍ ، أو شراء . . . إلخ .

وهنا يجب على الأخت المسلمة قبول النصيحة من غيرها بصدرٍ منشرحٍ ، ونفسٍ راضيةٍ ، وقلب مطمئن ؛ لأن أختها إنما تنصحها لخير الدنيا والآخرة .

ولتكن النصيحة فى السر لا فى العلن ، لتؤتى ثمارها ، فلقد كان السلف الصالح إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرًا ، حتى قال بعضهم :

من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهى نصيحة ، ومن وعظ على رؤوس الأشهاد فإنما هى فضيحة .

قال ابن حبان رحمه الله تعالى : –

---

(١) المصدر السابق (ص / ١٩٧) .

النصيحة تجب على الناس كافة ، ولكنْ إبداؤها لا يجب إلا سرًا ؛ لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه ، ومن وعظه سرًا فقد زانه ، فإبلاغ المجهود للمسلم فيما يزين أخاه أحرى من القصد فيما يشينه .

* * *

[٢٥]

من آداب الصحبة : عيادة المريضات

أختى المسلمة . . .

من الآداب التى تحتمها الصحبة ، وحسن العشرة : عيادة المريضات من الأخوات .

تأملى أختى أن واحدة من أخواتك المسلمات على سرير المرض تنتظر من الله تعالى لحظة الشفاء ، وتأتى أنت إليها ، وتتقدمى إليها بكلمات طيبة لعلها أن تكون لها مؤنسًا ورفيقًا فى هذه الأوقات العصيبة ، ولعل هذه الكلمات ترسم على شفتيها الابتسامة التى ينبغى أن توجد دائمًا فى لقاء الأخوات المسلمات .

وهذا الأدب السلوكى الرائع حث عليه ديننا الحنيف ، وذكر لنا الثمار التى تعود على فاعليه رجالًا كانوا أو نساءً .

فعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : -
« إن الرجل إذا عاد أخاه المسلم لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع ، قيل يا رسول الله ، وما خرفة الجنة ؟ قال : جناها »[1] .

ولتعلمى أختى المسلمة أنه يجب عليك النصح لأختك المريضة أثناء

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه مسلم (١٦ / ١٢٥) .

زيارتها فى مرضها ، وتقولى لها : اعلمى أختى أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولتصبرى ، وتحتسبى الأجر عند الله تعالى .

فالله عز وجل يبتلينا بالمرض كما يبتلينا بالخير والصحة ، ليعلم من منا سيصبر على قضائه ، فكونى أختى من الراضيات بالقضاء ، والصابرات عند البلاء .

وإذا يئست المريضة من الشفاء ، أو خافت من شدة المرض ، فذكريها بالله وسعة رحمته حتى تُحسن ظنها بالله تعالى .

وهنا أذكر لك أختى المسلمة بعض النصائح لتكون عيادتك على أكمل وجه .

١ - التخفيف من الجلوس عند أختك المريضة حتى لا تتسببى لها فى أى مشقة .

٢ - الإخلاص فى الزيارة ، وأن يكون مرادك التذكير بالله وثوابه .

٣ - الدعاء للمريضة بالدعاء المأثور عن الرسول ﷺ .

« بسم الله ، اذهب البأس رب الناس ، واشف أنت الشافى ، لاشفاء إلا شفاؤك » شفاء لا يغادر سقمًا»[1] .

٤ - تقديم الهدية أن تسير ذلك من غير كلفة .

٥ - عدم الإكثار من الكلام فى حضرة المريضة .

ومع آداب الصحبة ، وحسن العشرة نكمل المسير .

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه البخارى (٧ / ١٧١) ، ومسلم (٢١٩١) ، وأحمد (٣ / ٢٦٧) .

[٢٦]

من آداب الصحبة : التوديع

أختى المسلمة . . .

من الآداب النبيلة هى من توابع الصحبة ، وحسن العشرة : التوديع عند الفراق . فإذا عزمت أختك المسلمة على سفرٍ لحج أو عمرة ، أو انتقال إلى بيت زواجٍ ، أو سفرٍ للعلاج أو غير ذلك كان عليك من آداب الصحبة أن تذهبى إليها ، وتجلسى معها ، وتذكريها أن خير زادٍ هو التقوى ، وتنصحيها بما هو لائقٌ بالمناسبة التى تودعينها فيها .

ولك فى الرسول ﷺ أسوة حسنة ، الذى كان يودع المسافر بقوله : « **أستودع الله دينك ، وأمانتك ، وخواتيم عملك** »(١) .

قوله : « وأمانتك » أى : أهلك ، ومن تخلفه بعدك منهم ، ومالك الذى تودعه » وتستحفظه أمينك ، وقدم الدين ؛ لأن حفظه أهم .

أما قوله : « وخواتم عملك » أى : عملك الصالح الذى جعلته آخر عملك فى الإقامة » فإنه يسن للمسافر أن يختم إقامته بعملٍ صالحٍ كَتَوْبَةٍ ، وقُربة ، وخروج عن المظالم ، أو صلاة ، أو صدقة ، أو صلة

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه أحمد (٢ / ٧ ، ٢٥) ، وأبو داود (٢٦٠٠) ، والترمذى (٣٤٤٢) ، وابن ماجه (٢٨٢٦) ، والحاكم (١ / ٤٤٢) ، (٢ / ٩٧) .

رحم ، أو وصية ، أو استبراء ذمة .

فإذا انصرفت أختك المسلمة قولي سائلة الله تعالى : اللهم اطو لها البعيد ، وهون عليها السفر .

قال الإمام الشعبي رحمه الله تعالى : –

السُّنَّة إذا قدم رجل من السفر ، أن يأتيه إخوانه فيسلموا عليه ، وإذا خرج إلى سفر أن يأتيهم فيودعهم ، ويغتنم دعاءهم[١] .

وروى المعتمر عن إياس بن دغفل قال : رأيت الحسن ودّع رجلًا ، وعيناه تهملان : وهو يقول :

وما الدهر إلا هكذا فاصطبر له ... رزيئة مال أو فراق حبيب[٢]

وقال : وودّع رجلٌ صديقًا له وهو يقول : –

وداعك مثل وادع الربيـــع ... وفقـدك مثـل افتقـاد الـــدِّيم
عليك السلام فكم من وفاءٍ ... نفارقه منك أو من كــرم[٣]

ومع آداب الصحبة ، وحسن العشرة نكمل المسير .

---

(١) بهجة المجالس (١ / ٢٤٦) .
(٢) عيون الأخبار (٣ / ٣٨) .
(٣) السابق .

[٢٧]

من آداب الصحبة : اللقاء بوجه طلق

أختى المسلمة . . .

عندما تقابل المسلمة أختها فى الله تعالى بوجهٍ طلقٍ ، وبسمة صافية ، ونظرة حانية ، فقد بدأت خير بداية لحسن العشرة .

واللقاء بين الأخوات المسلمات هو أفضل اللقاءات على وجه الأرض ؛ لأنه يحوى الحب والإخلاص ، والصدق والسرور ، ولقد حثنا خير الأنام ﷺ على هذا الأمر فقال :

« لا تحقرن من المعروف شيئًا ، ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلقٍ » (١) .

أى : بوجهٍ مُتهللٍ بالبشر ، والتلطف والابتسام .

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنه : إن البر شيءٌ هينٌ : وجه طليق ، وكلام لين .

نعم أختى المسلمة إن من آداب الصحبة الصادقة : اللقاء بوجه طلقٍ ، قال الفضيل بن عياض رحمه الله :

---

(١) **حديث صحيح** . أخرجه مسلم (١٦ / ١٧٧) ، وأحمد (٣ / ٣٨٣) .

نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة .

وعن عروة بن الزبير رحمه الله قال : مكتوب فى الحكمة : ليكن وجهك بسطًا ، وكلمتك لينة ، تكن أحب إلى الناس من الذى يعطيهم العطاء .

ومع أدب آخر من أدب الصحبة ، وحسن العشرة نكمل المسير .

* * *

[٢٨]

من آداب الصحبة : التهنئة

أختى المسلمة . . .

من آداب الصحبة ، وحسن العشرة التى شرعها لنا الإسلام : التهنئة فى كل نعمة .

١) فعند الزواج تقولين لأختك المسلمة كما علمنا الرسول ﷺ : –

« بارك الله لك ، وبارك عليك ، وجمع بينكما فى خير » [١] .

٢) عندما ترزق بمولود ، تقولين لها :

« بُورك فى الموهوب ، وشكرت الواهب ، ورزقت بره ، وبلغ أشده ، وإن كان المولود أنثى قلت : ورزقت برها ، وبلغت أشدها » [٢] .

٣) عندما ترتدى أختك ثوبًا جديدًا تقولين لها :

« أبلى وأخلقى » [٣] .

أخلقى : أمر بالإخلاق ، والعرب تطلق ذلك وتريد الدعاء ، بطول

---

(١) **حديث صحيح** . رواه أصحاب السنن ما عدا النسائى .

(٢) ابن المنذر فى الأوسط كما فى تحفة المودود (ص / ٢٤) لابن القيم .

(٣) **حديث صحيح** . البخارى (٧ / ١٩١) ، (٨١٨) ، وأبو داود (٤٠٢٤) والحاكم (٢ / ٦٣) .

البقاء للمخاطب بذلك ، أى : أنها تطول حياته حتى يبلى الثوب ويخلق .

* * *

[٢٩]

آداب الصحبة مع الجوارح

أختى المسلمة . . .

لكل جارحةٍ من جوارحك بعض الآداب التى تقتضيها آداب الصحبة ، وحسن العشرة فأما العين ، وما أدراك ما العين ، ثم ما أدراك ما العين .

آداب الصحبة بالعين أن تنظرى إلى أخواتك المسلمات نظر مودة ، ومحبة يعرفنها ، وتنظرى إلى محاسنهن ، وتغضى عن غير ذلك .

آداب الصحبة بالعين ألا تصرفى عن أخت مسلمة تحدثك بصرك ، وتقبلى عليها فى لحظة كلامها إليك .

وآداب الصحبة بالأذن ، أن تستمعى إلى حديث أخواتك المسلمات سماع مشتهية لما تسمعين ملتذة بحديث أختك المسلمة إليك .

ولا تقطعى حديثها بسبب من الأسباب ، فإن اضطرك الوقت إلى شيء من ذلك استعذرتيها فيه ، وأظهرت لها عذرك .

وآداب الصحبة باللسان : أن تكلمى أخواتك المسلمات بما يحببن ، ثم فى وقت سرورهن تذكرى لهن النصائح النافعة ، وتسقطى من كلامك ما تعلمين أن أختك المسلمة تكرهه من حديثٍ ، أو لفظٍ ،

ولا ترفعي عليهن صوتك .

آداب الصحبة باليدين : أن تكون مبسوطتين لأخواتك المسلمات بالبر ، والمعونة ، لا تقبضيهما عنهن ، وعن الإفضال عليهن ، ومعونتهن فيما يستعن به .

آداب الصحبة بالرجلين : أن تماشى أخواتك المسلمات على حد التبع ، فلا تجلس إلا بجلوسهن ، ولا تنصرف إلا بانصرافهن .

* * *

[٣٠]

من آداب الصحبة : لا تصاحبى هؤلاء

أختى المسلمة . . .

من آداب الصحبة أن تتركى صحبة بعض النسوة اللواتى لا تعود صحبتهن عليك إلا بالضرر في دينك ودنياك .

١ – لا تصاحبى الفاسقة ، فإنها تبيعك بأكلة فما دونها .

٢ – لا تصاحبى البخيلة : فإنها تقطع بك فى مالها أحوج ما تكونين إليها .

٣ – ولا تصاحبى الكذابة ، فإنها بمنزلة السراب تبعد عنك القريب ، وتقرب منك البعيد .

٤ – ولا تصاحبى الحمقاء ، فإنها تريد أن تنفعك فتضرك .

٥ – ولا تصاحبى قاطعة رحم ، فإنها ملعونة .

٦ – ولا تصاحبى غشاشة ، فإنها تدلك على عدم الحياء من الله تعالى .

٧ – ولا تصاحبى منانة ، فإنها دائمًا تحرجك بفضلها .

٨ – ولا تصاحبى ماكرة ، فإنها لا تعرف إلا نفعها .

٩ – ولا تصاحبى خائنة ، فإنها كما خانت غيرك ستخونك .

١٠ – ولا تصاحبى مسترجلة ، فإنها صارت ملعونة .

١١ –ولا تصاحبي من لا تخاف الله تعالى فيك، فإنها لا تنصحك أبدًا.

١٢ – ولا تصاحبى من لا تعرف حقك عليها حتى لا تندمى على شئ .
١٣ – ولا تصاحبى من لا تكتم سرك ، فإنها أقرب الأعداء إليك .
١٤ – ولا تصاحبى تاركة الصلاة ، فإنها بعيدة من الله .

* * *

خاتمة

أختى المسلمة . . .

وقبل الافتراق ، والانتهاء من آداب الصحبة ، وحسن العشرة ، أذكرك بدوام البشر مع الأخوات ، وبذل المعروف لهن ، ونشر محاسنهن ، وستر قبائحهن ، واستكثار قليل برهن ، واستصغار ما منك إليهن ، وتعهدهن بالنفس ، والمال ، ومجانبة الحقد والحسد ، والبغى ، والأذى ، وما يكرهن من جميع الوجوه ، وترك ما يعتذر منه .

واعملى على ألا تنسى كشف الكرب عن المسلمات المكروبات .

وحاولى قضاء الديون عن المسلمات الفقيرات ، وسارعى فى قضاء حوائج أخواتك المؤمنات ، .

ولا تتكاسلى عن مساعدة الأخوات ، وكشف الجوع عن الجائعات ، وتعلمى العلم وعلميه لغيرك من المسلمات .

وأخيرًا . . .

تذكرى أن تبسمك فى وجه أختك المسلمة صدقة .

أرجو من الله تعالى أن ينفعك بما فى هذه الصفحات ، ويرحمنى بها بعد الممات ، ويثقل بها يوم القيامة كفة الحسنات ، وبالله التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبو مريم

الفهرس العام

العنوان رقم الصفحة

تقديم
الباب الأول ٩
(١) بطاقة نبوية لحسن العشرة والصحبة ١١
(٢) المسلمات جسد واحد ١٣
(٣) اختيار الأخت وأثره العظيم ١٦
(٤) إعلام المسلمة أختها بمودتها لها ٢١
(٥) من آداب الصحبة : حسن الخلق ٢٣
(٦) من آداب الصحبة : ستر عيوب الأخوات ٢٥
(٧) من آداب الصحبة : شدة الشوق للأخوات ٢٧
(٨) من آداب الصحبة : الوفاء بالعهد ٣٠
(٩) من آداب الصحبة : الزيارة فى الله ٣٢
(١٠) من آداب الصحبة : قضاء الحوائج ٣٤
الباب الثانى ٤١
(١١) من آداب الصحبة : السخاء ٤٣
(١٢) من آداب الصحبة : العفو عن الأخوات ٥٠
(١٣) من آداب الصحبة : الإيثار والمواساة ٥٢
(١٤) من آداب الصحبة : الدعاء ٥٧
(١٥) من آداب الصحبة : الإنصاف ٦٠

(١٦) من آداب الصحبة : الصبر عند الجفاء ٦٢
(١٧) من آداب الصحبة : إطعام الطعام ٦٣
(١٨) من آداب الصحبة : الهدية ٦٨
(١٩) من آداب الصحبة : تقديم الصدقات ٧١
(٢٠) من آداب الصحبة : نسيان الزلات ٧٦
الباب الثالث ٧٧
(٢١) من آداب الصحبة : ترك التكلف ٧٩
(٢٢) من آداب الصحبة : كسوة المحتاجات ٨١
(٢٣) من آداب الصحبة : قبول الاعتذار ٨٣
(٢٤) من آداب الصحبة : النصيحة ٨٥
(٢٥) من آداب الصحبة : عيادة المريضات ٩١
(٢٦) من آداب الصحبة : التوديع ٩٣
(٢٧) من آداب الصحبة : اللقاء بوجه طلق ٩٥
(٢٨) من آداب الصحبة : التهنئة ٩٧
(٢٩) آداب الصحبة مع الجوارح ٩٩
(٣٠) من آداب الصحبة : لا تصاحبي هؤلاء ١٠١
خاتمة ١٠٣

مطبعة المدني

المؤسسة السعودية بمصر

٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت ٨٢٦٨٥٠